الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

*كلية الآداب واللغات * قسم اللغة والأدب العربي

مطبوعة بيداغوجية في مقياس

البلاغة العربية

موجّه لطلبة السنة الأولى ليسانس، جذع مشترك

السنة الجامعية 2025 – 2026

الفهرس:

الفهرس: .....
مقدمة **1**
المحاضرة الأولى: علم البلاغة: مفهومه، نشأته، تطوره، فروعه **4**
تمهيد: 4
1- تعريف البلاغة: 7
2 - أهداف علم البلاغة وأغراضه :..... 8
3- نشأة علم البلاغة، ومراحل تطوره :..... ÷9
المحاضرة الثانية: أثر الفرق الكلامية في تأصيل البلاغة (المجاز عند المعتزلة نموذجا) **13**
1- علم الكلام: 13
2- أثر المعتزلة في تطور درس المجاز: 14
3- علماء المعتزلة والمجاز: 16
المحاضرة الثالثة: الأسلوب الخبري وأضربه **19**
1- الأسلوب: 19
2- الخبر: 20
3- أضرب الخبر: 20
4- أدوات التوكيد في الأسلوب الخبري: 21
5- أغراض الأسلوب الخبري: 22
6- المعاني المجازية التي يخرج إليها الأسلوب الخبري: 27
المحاضرة الرابعة: الأسلوب الإنشائي وأضربه **30**
أولا- تعريف الأسلوب الإنشائي: 30
ثانيا- أقسام الأسلوب الإنشائي:..... 31
المحاضرة الخامسة: التقديم والتأخير..... **39**
أولا- التقديم والتأخير: 39
ثانيا- الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير في الإنتاج اللغوي: 41
المحاضرة السادسة: الفصل والوصل..... **45**
أولا- تعريف الوصل والفصل:..... 45
ثانيا- مواضع الفصل والوصل:9 47

المحاضرة السابعة: الحقيقة والمجاز 52
أولا: الحقيقة: 52
ثانيا: المجاز: 55
ثالثا–الفرق بين الحقيقة والمجاز: 56
المحاضرة الثامنة: أنواع المجاز 59
أولا– المجاز اللُغويّ: 59
ثانيا– المجازُ العقليُّ: 61
المحاضرة التاسعة: التشبيه وأضربه 64
أولا– تعريف التشبيه: 64
ثانيا: أغراض التشبيه: 65
ثالثا: أقسام التشبيه: 66
رابعا: التشبيه باعتبار المقلوب وغير المقلوب: ويُقسَّم إلى: 69
خامسا: التشبيه باعتبار صراحته أم ضمنه: ويُقسَّم إلى: 69
المحاضرة العاشرة: الاستعارة 73
1– تعريف الاستعارة: 73
2– مكونات الاستعارة: 74
3– خصائص الاستعارة: 75
4– أنواع الاستعارة: 75
المحاضرة الحادية عشرة: الكناية 80
أولا– تعريف الكناية: 80
ثانيا– بلاغة الكناية: 81
ثالثا – أنواع الكناية: 82
المحاضرة الثانية عشرة: المطابقة والمقابلة 86
أولا– المطابَقة: 86
ثانيا– المقابَلة: 88
المحاضرة الثالثة عشرة: السجع والجناس 93
أولا– السجع: 93
ثانيا– الجناس: 96
المحاضرة الرابعة عشرة: أسلوب القصر 104
أولا– تعريف القصر: 104

ثانيا- طُرقُ القَصْرِ: 105
رابعا- أقسام القصرِ: 106
المحاضرة الخامسة عشرة: التورية 110
1 تعريف التورية: 110
2 بلاغة التورية: 111
3- أنواع التورية: 112
قائمة المصادر والمراجع 118

مقدمة

تُعَدّ البلاغة العربية أحد الأعمدة المعرفية التي يقوم عليها الدرس اللغوي والأدبي، لما تنهض به من وظيفة مزدوجة تجمع بين إحكام الصياغة وتجويد الدلالة، وبين الكشف عن أسرار التأثير وجماليات التعبير. فهي ليست علمًا يُعنى بزخرفة القول أو تحسين ظاهره فحسب، بل هي نظامٌ دقيقٌ يروم تمكين المتكلّم من أداء المعاني أداءً ملائمًا لمقتضيات المقام، محققًا غاية الإفهام والتأثير معًا.

وإذا كان معيار الجودة في الخطاب لا يقف عند حدود السلامة اللغوية، فإنّ البلاغة تتجاوز ذلك إلى النظر في كيفية انتظام المعاني في صورٍ مخصوصة، تُراعي حال المتلقّي وسياق التخاطب، وتُحسن توظيف الإمكانات التعبيرية للغة العربية. ومن ثَمّ، فإنها تُؤسّس لوعيٍ نقديٍّ يُمكّن الدارس من التمييز بين مراتب القول، والوقوف على درجات التفاضل بين الأساليب.

وقد استقرّ البناء العلمي للبلاغة العربية في ثلاثة علوم متكاملة، يُفضي بعضها إلى بعض في نسقٍ منهجيٍّ متماسك؛ إذ يُعنى علم المعاني بدراسة العلاقات بين التراكيب والسياقات، وما يقتضيه المقام من تقديم وتأخير، أو حذف وذكر، أو إيجاز وإطناب. ويُعنى علم البيان بالكشف عن طرائق التعبير عن المعنى الواحد بصورٍ مختلفة، من خلال التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز، بما يُسهم في تعميق الدلالة وتوسيع آفاقها. أمّا علم البديع فيتناول وجوه التحسين اللفظي والمعنوي، بوصفها عناصر تُضفي على الخطاب انسجامًا إيقاعيًا وبُعدًا جماليًا، شريطة أن تظلّ خادمةً للمعنى غير متقدّمة عليه.

ولا يمكن إدراك حقيقة هذا العلم دون استحضار مساره التاريخي؛ إذ نشأت أصوله في الممارسة اللغوية العربية الأصيلة، شعرًا ونثرًا، ثم تبلورت مع نزول القرآن الكريم، الذي مثّل الذروة العليا في البيان العربي، فكان دافعًا قويًا إلى تأمّل طرائق التعبير، واستنباط القواعد التي تحكمها. وتوالت بعد ذلك جهود العلماء في التقعيد والتصنيف، حتى غدت البلاغة علمًا قائمًا بذاته، له مصطلحاته الدقيقة، وقضاياه المحدّدة، ومناهجه في التحليل والتقويم.

وانطلاقًا من هذا التصوّر، فإن البلاغة ليست معارف نظرية مجرّدة، بل هي ممارسة تحليلية وتذوّقية، تُكسب الدارس قدرةً على قراءة النصوص قراءة واعية، تستجلي أبعادها الدلالية والجمالية، وتُدرك ما تنطوي عليه من طرائق التعبير وأساليب التأثير. ومن هنا تتأكد ضرورتها لطلبة اللغة العربية وآدابها، بوصفها أداةً مركزية لفهم النصوص الأدبية والوقوف على خصائصها الفنية.

ولما كان طلبة السنة الأولى ليسانس في مرحلة التأسيس العلمي، فإن الحاجة تشتدّ إلى عرضٍ بيداغوجيٍّ مُحكَم، يجمع بين الوضوح والدقّة، ويوازن بين التأصيل النظري والتطبيق العملي. وعلى هذا الأساس، جاءت هذه المطبوعة في صيغة تعليمية تراعي التدرّج في بناء المفاهيم، والانتقال المنهجي من الكلّيات إلى الجزئيات، مع دعم الشرح بنماذج مختارة تُسهم في ترسيخ الفهم وتنمية مهارات التحليل.

وقد التُزم في إعداد هذه المادة بمفردات المقرّر الرسمي للسداسي الأوّل، مع تنظيم الموضوعات وفق رؤية منهجية تُيسّر الاستيعاب، وتُعين الطالب على بناء تصوّر متماسك لعلوم البلاغة. ومن المؤمّل أن تُسهم هذه المطبوعة في إرساء قاعدة علمية صلبة لدى الطالب المبتدئ، تُؤهّله لمواصلة التعمّق في هذا الحقل المعرفي في المراحل اللاحقة، بروح نقدية وذائقة لغوية واعية.

مفردات السداسي الأول

1. علم البلاغة (مفهومه ونشأته وتطوره وفروعه).
2. أثر الفرق الكلامية في تأصيل البلاغة (المجاز عند المعتزلة نموذجا).
3. الأسلوب الخبري وأضربه.
4. الأسلوب الإنشائي وأضربه.
5. التقديم والتأخير.
6. الفصل والوصل.
7. الحقيقة والمجاز.
8. أنواع المجاز.
9. التشبيه وأضربه.
10. الاستعارة.
11. الكناية.
12. المطابقة والمقابلة
13. السجع والجناس
14. أسلوب القصر
15. التورية

المحاضرة الأولى: علم البلاغة: مفهومه، نشأته، تطوره، فروعه

تمهيد:

اهتمت الدراسات اللغوية بدراسة مفهومي الفصاحة والبلاغة من خلال التراث العربي، مما أسهم في توضيح العلاقة بينهما؛ إذ تُعدّ الفصاحة أساسًا تقوم عليه البلاغة، فلا يتحقق الإبلاغ دونها، بينما قد تتحقق الفصاحة دون أن ترقى بالكلام إلى مستوى البلاغة.

وعليه يجدر بنا قبل التطرّق للمحاضرات المقررة لمقياس البلاغة العربية أن نتعرف على مفهوم الفصاحة ومعاييرها أولا لأنّها الركيزة التي يقوم عليها البناء البلاغي؛ إذ تمثل الشرط الأول لسلامة التعبير قبل أن تنتقل البلاغة إلى مستوى تحقيق الملاءمة بين الخطاب وسياقه.

وفي هذا السياق، يقدّم الهاشمي تصورًا دقيقًا للفصاحة قائلاً: "الفَصاحةُ: عبارةٌ عن الألفاظِ البيّنةِ الظَّاهِرةِ، المتبادِرةِ إلى الفهمِ، والمأنوسة الاستعمالِ بَيْنَ الكُتَّابِ والشُّعَراءِ لمكانِ حُسنِها... وفصاحةُ الكلامِ: سلامتُه بعدَ فَصاحةِ مُفرداتِه ممَّا يُبهِمُ معناه، ويحولُ دونَ المرادِ منه"[1]، ويعكس هذا التعريف ارتباط الفصاحة بوضوح الألفاظ وسلامة التركيب، بما يجعل المعنى قريبًا من الإدراك وبعيدًا عن التعقيد والإبهام.

أمّا عبد القاهر الجرجاني فقد قدّم تحديدًا دقيقًا لشروط الفصاحة، حيث يقول: "وهي –أي الفَصاحةُ– في المفرَدِ: خُلوصُه من تنافُرِ الحروفِ والغَرابةِ ومخالفةِ القياسِ، وفي الكلامِ: خُلوصُه من ضَعفِ التَّأليفِ وتنافُرِ الكَلِماتِ، مع فصاحتِها،... وفي المتكَلِّمِ: مَلَكةٌ يُقتَدَرُ بها على التَّعبيرِ عن المقصودِ بلَفظٍ فصيحٍ "، ويُفهم من هذا القول أن الفصاحة تقوم على مبدأ الانتظام اللغوي، بحيث تتكامل سلامة اللفظ مع حسن التركيب وكفاءة الأداء، وهو ما يفضي في النهاية إلى وضوح المعنى وانتفائه من التعقيد.

وعليه، تتوزع الفصاحة على ثلاثة مستويات رئيسة: الكلمة، والكلام، والمتكلم، وهو ما يستدعي الوقوف على المعايير التي تضبط تحققها في كل مستوى من هذه المستويات.

---

[1]– أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة. المكتبة العصرية. صيدا، بيروت. دت.ص 32.

حيث تقوم فصاحة الكلمة بخلوّها من النقائص الآتية[1]:

أ- تنافر الحروف: وهو نزعان: **نافر شديد** وهو ما يبلغ حدّ الاستثقال الواضح، كقولهم: الهعخع (اسم نبات)، والعُقْعُق في بعض الاستعمالات النادرة[2]، و**تنافر خفيف:** وهو أقل حدة، ومنه: النقنقة (صوت الضفدع)، علما أنّ الاعتماد على تقارب أو تباعد المخارج ليس قاعدة مطلقة.

ب- غرابة اللفظ: ومن أمثلته قول عيسى بن عمر: مالكم تكأكأتم عليّ كتكأكؤكم على ذي جنة؟... افرنقعوا [3]، حيث لفظ افرنقع بمعنى (تنحّى)، وتكأكأ بمعنى (تجمع).

ج- مخالفة القياس: ومن ذلك قول أبو النجم العجلي: الحمد لله العلي الأجلل، والقياس: الأجلّ بالإدغام[4]، مع العلم أنّ هذا المعيار يُستثنى منه ما ثبت في الاستعمال العربي، وإن خالف القياس، كقولهم: المِشرق والمِغرب بكسر الراء.

د- مخالفة الوضع: ومن ذلك قول الشاعر: أني أجود لأقوام وإن ظننوا، حيث استُعملت ظننوا بمعنى بخلوا[5]، وهو استعمال مخالف للوضع اللغوي المستقر.

أما معايير فصاحة الكلام فإنّها تقتضي سلامة التركيب من العيوب الآتية:

أ- تنافر الكلمات: وهو نوعان: **تنافر شديد** حين تتجاور ألفاظ متباعدة المخارج أو متنافرة في بنيتها الصوتية، ومن ذلك ما أنشده الجاحظ:

وقبرُ حربٍ بمكانٍ قفرِ وليس قربَ قبرِ حربٍ قبرُ

والنوع الثاني هو التنافر الخفيف الذي لا يفضي إلى اضطراب كامل في العبارة، لكنه يُحدث ثقلًا ملحوظًا في السمع، يظهر غالبًا نتيجة التكرار أو تقارب بعض الأصوات في السياق. ومن ذلك قول أبي تمام في مدح موسى بن إبراهيم:

كريمٌ متى أمدحه أمدحه والورى معي وإذا ما لمته لمته وحدي

---

[1] ينظر: أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة. ص20 وما بعدها،.

[2] ينظر: الخطيب القزويني. الإيضاح في علوم البلاغة. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. 2003م، ص: 25.

[3] ينظر: الجاحظ. البيان والتبيين. تحق: عبد السلام محمد هارون. ط7. القاهرة. (1418هـ\1998م). مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع.، ج1، ص: 89.

[4] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، *دلائل الإعجاز*، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1992م، ص: 52.

[5] ينظر: أبوهلال العسكري. كتاب الصناعتين. (د ط). تحق: أحمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. دار عيسى البابي. 1971م، ص: 102.

فالبيت واضح المعنى، إلاّ أن التكرار الواقع في الفعل أمدحه، مقترنًا باجتماع بعض الأصوات الحلقية، أوجد نوعًا من الثقل الخفيف، علما أنّ هذا الاجتماع قد يرد في أفصح الكلام دون أن يُخلّ بجماله، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾، مما يدل على أن العبرة ليست بالحروف مفردة، بل بطريقة انتظامها داخل السياق.

ب–ضعف التأليف: لا تتحقق فصاحة الكلام بمجرد سلامة مفرداته، بل تتوقف أساسًا على انتظامه وفق القوانين النحوية؛ إذ إن اختلال هذا الانتظام يُفضي إلى ما يُعرف بضعف التأليف[1]، ومن ذلك قول حسان بن ثابت:

فلو أن مجدًا أخلد الدهر واحدًا من الناس أبقى مجده الدهر مطعما

فالبيت، وإن استقام معناه، إلا أنّ نظمه جاء مخالفًا لما تقرره القاعدة النحوية؛ إذ أُعيد الضمير في مجده على مطعم، وهو متأخر عنه لفظًا ورتبة، لكونه مفعولًا.

ج–التعقيد: وينقسم التعقيد إلى نوعين: **تعقيد لفظي** ينشأ من اختلال ترتيب العناصر داخل التركيب، ويتجلى ذلك في قول الفرزدق، مادحًا إبراهيم بن هشام المخزومي، خال هشام بن عبد الملك بن مروان إبراهيم بن هشام

وما مِثْلُهُ في النَّاسِ إلا مُمَلَّكًا أبو أمِّهِ حَيٌّ أبوهُ يُقَارِبُهُ

فالمقصود بـ الممَلّك هو هشام بن عبد الملك، ابن أخت الممدوح، حيث تعود الهاء في أمّه إليه، بينما تعود الهاء في أبوه إلى الممدوح نفسه. والمعنى المراد أن الممدوح لا يُشبهه أحد في الناس إلا هذا الملك، لِما بينهما من صلة قرابة ومكانة. إلاّ أن هذا المعنى لا يتكشف بسهولة؛ بسبب اضطراب النظم، **وتعقيد معنوي** يتصل بطبيعة الدلالة ذاتها، حين لا يكون المعنى مباشرًا، بل يتطلب انتقالًا ذهنيًا من مستوى ظاهر إلى مستوى أعمق، لعلاقة بعيدة بينهما، مما يُثقل عملية الفهم، ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى:

ومن لم يذد عن حوضه يُهدم ومن لا يظلم الناس يُظلم

فالظاهر من اللفظ يوحي بأنّ الشاعر يدعو إلى الظلم، والمقصود ليس الاعتداء، بل الدفاع عن النفس وردّ العدوان.

---

[1]– يوسف أبو العدوس، *مدخل إلى البلاغة العربية*، عمّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ص46.

أمّا عن معايير فصاحة المتكلم فإنّها لا تكتمل فصاحة الخطاب عند حدود سلامة الألفاظ وانتظام التراكيب، بل تتجاوز ذلك إلى كفاءة المتكلم ذاته، باعتباره الطرف المنتج للكلام، والقادر على توظيف إمكانات اللغة توظيفًا يحقق الإفهام والتأثير، وتتحدد هذه الكفاءة في امتلاك ما يُعرف بالملكة اللغوية، وهي قدرة راسخة تمكّن صاحبها من التعبير عن المعاني تعبيرًا فصيحًا، دون تكلّف أو اضطراب. وفي هذا السياق يعرّف القزويني هذه الملكة بقوله: "ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود، بلفظ فصيح"[1]

ولا تُفهم هذه الملكة على أنها استعداد فطري خالص، بل هي حصيلة تمرين طويل وتدرّج في اكتساب المهارة اللغوية، إذ تتكون من خلال الاحتكاك المستمر بالنصوص الفصيحة، قراءةً وحفظًا وفهمًا.

1- تعريف البلاغة:

لتحقيق فهم دقيق لمفهوم البلاغة وضبط حدوده المعرفية، يقتضي الأمر تناولها في مستويين متكاملين: أولهما المستوى اللغوي الذي يكشف عن أصل الدلالة في الاستعمال العربي، وثانيهما المستوى الاصطلاحي الذي يبرز كيفية توظيف هذا المفهوم داخل النسق العلمي للبلاغيين.

أ- البلاغة لغة: حيل البلاغة في أصلها اللغوي إلى معنى الوصول والانتهاء إلى الغاية، وهو ما يتضح من خلال ما أورده (ابن منظور) في معجمه لسان العرب في مادة (ب ل غ)، حيث يقول:

"بَلَغَ الشيء يَبْلُغُ بُلوغاً وبَلاغاً: وَصَلَ وانْتَهى، وأَبْلَغَهُ هو إبْلاغًا وبلَّغَه تبليغاً. والبَلْغُ والبِلْغُ: البَليغُ من الرِّجال، ورجل بليغٌ وبَلْغٌ وبِلْغ: حَسَنُ الكلام فصيحُه، يبلغ بعبارة لسانه كُنْهَ ما في قلبه، والجمع بُلَغَاء، وبَلُغَ بلاغةً: أَيْ صار بليغًا"[2].

ويُفهم من هذا التعريف أن البلاغة، من حيث الاشتقاق، مصدر مأخوذ من الفعل الثلاثي (بَلَغَ/ بَلُغَ)، وتدل على بلوغ الغاية في القول، أي تحقيق المقصود من الخطاب على وجه يفضي إلى التأثير في المتلقي. ومن ثمّ، فهي صفة ترتبط بقدرة المتكلم على التعبير عن معانيه تعبيرًا فصيحًا يمكّنه من نقل ما في ذهنه إلى غيره بوضوح وإحكام.

ب- البلاغة اصطلاحا: قال أبو هلال العسكري: «البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع، فتمكنه في نفسه، كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة، ومعرض حسن»[3]، وهو تعريف يوضح البعد

---

[1] - الخطيب القزويني. الإيضاح في علوم البلاغة، ص19.

[2]- ابن منظور. لسان العرب، المجلد الأول. ط5. دار صادر للطباعة والنشر. بيروت، لبنان،2005م، ص143

[3]- أبوهلال العسكري. كتاب الصناعتين، ص16.

الوظيفي للبلاغة ويكشف أن معيارها لا يقتصر على صحة التركيب فحسب، بل يمتد إلى قدرة الكلام على إحداث أثر معرفي ونفسي مستقر لدى المتلقي.

ومن هذا المنطلق، تتجلى البلاغة كنظام متكامل يربط بين البنية اللغوية وظروف الاستعمال، ويحقق توازنًا بين سلامة اللفظ وملاءمة السياق، بما يضمن وضوح المعنى وقوة تأثيره في الوقت ذاته. وقد صاغ البلاغيون هذا المفهوم في تعريفات دقيقة، من أبرزها ما ورد عند الخطيب القزويني في كتابه الإيضاح في علوم البلاغة: «مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته»[1]، وهو تعريف يؤكد أن البلاغة ليست مجرد حسن صياغة شكلية، بل هي ضبط للعلاقة بين التعبير ومقتضيات الموقف.

2- أهداف علم البلاغة وأغراضه:

ندرج علم البلاغة ضمن العلوم التي تجمع بين البعد المعرفي والوظيفة التعليمية، إذ لا يقتصر دوره على تقعيد الظواهر الأسلوبية، بل يتجه إلى غايات أعمق تتصل بفهم الخطاب وتحليل بنيته.

فمن حيث طابعه العلمي، يتوخى هذا العلم الكشف عن الخصائص البيانية التي يقوم عليها الإعجاز القرآني، من خلال تحليل أنماط التعبير ودراسة العلاقات الدقيقة بين الألفاظ والمعاني. كما يمتد اهتمامه إلى ميدان الإبداع الأدبي، حيث يسعى إلى استجلاء آليات البناء الفني، وتفسير مظاهر الجمال في الكلام شعراً ونثراً.

أما من حيث وظيفته التعليمية، فإن البلاغة تُعنى بتكوين ملكة لغوية لدى المتعلم، تمكّنه من حسن التعبير وسلامة الأداء، بما يحقق له القدرة على إنتاج خطاب واضح ومؤثر. غير أن هذا الهدف اصطدم، في مراحل لاحقة، بتعقّد الدرس البلاغي وتشعب مباحثه، مما أدى إلى ظهور اتجاهات تسعى إلى تبسيطه وتيسير تحصيله.

وقد تجلّت هذه المحاولات في جملة من المسالك المنهجية، من أهمها:

- **تقريب المادة العلمية عن طريق الاختصار**: وذلك بتحويل المصنفات المطوّلة إلى متون موجزة، كما في عمل القزويني في تلخيص المفتاح، حيث أعاد صياغة كتاب مفتاح العلوم للسكاكي في صورة أكثر تركيزًا.
- **إيضاح المختصرات بالشروح**: عبر بسط ما أُجمل وتفصيل ما أُوجز، ومن أبرز ذلك شرح التفتازاني (الشرح المطول)، الذي أسهم في توضيح قضايا البلاغة وتقريبها إلى الدارسين.

---

[1]- الخطيب القزويني. الإيضاح في علوم البلاغة، ص20.

- **تنويع المقاربات المنهجية في التدريس:** إذ تباينت طرائق عرض البلاغة بين أسلوب يغلب عليه الطابع العقلي التحليلي كما عند المتكلمين، وآخر يميل إلى الذوق الأدبي والممارسة النصية كما عند الأدباء. ويُعدّ ابن الأثير في المثل السائر من أبرز من حاول إعادة ربط البلاغة بالتجربة الأدبية الحية.

3- نشأة علم البلاغة، ومراحل تطوره:

لم ينشأ علم البلاغة بوصفه علمًا مستقلاً منذ البداية، بل تدرّج في التشكل عبر مسار طويل، ارتبط في أصوله بعاملين رئيسين: أولهما القرآن الكريم، بما أثاره من تساؤلات حول سرّ إعجازه البياني، وثانيهما كلام العرب من شعر ونثر، بوصفه النموذج الأعلى للفصاحة في الاستعمال اللغوي.

وقد مثّل هذا التداخل بين النص القرآني والتراث الأدبي منطلقًا لتكوّن التفكير البلاغي، حيث برزت محاولات أولى لتفسير الظواهر الأسلوبية وتقويم جودة التعبير. ويُعدّ الجاحظ من أوائل من مهّدوا لهذا المسار، إذ فتح باب النظر في قضايا البيان، ووضع اللبنات الأولى التي بنى عليها اللاحقون تصوراتهم البلاغية.

ومع تطور هذا الاهتمام، انتقل الدرس البلاغي عبر مراحل متعاقبة، يمكن إجمالها في أربع مراحل كبرى[1]:

أ- مرحلة التذوق والتصنيف: اتسمت هذه المرحلة بطابعها النقدي الوصفي، حيث انصرف الاهتمام إلى التمييز بين الجيد والرديء من الكلام، ومحاولة استنباط معايير الجمال في الشعر والنثر. ولم يكن هذا الجهد مؤسسًا على قواعد دقيقة، بل اعتمد على الذوق والملاحظة.

وقد تجلّى ذلك في مؤلفات عدد من الأعلام، من أبرزهم:

- الجاحظ (ت255هـ) في البيان والتبيين
- ابن قتيبة (ت276هـ) في الشعر والشعراء
- المبرد (ت285هـ) في الكامل في اللغة والأدب

حيث شكّلت هذه الأعمال نواة أولى للتفكير البلاغي، دون أن تبلغ درجة التقعيد العلمي.

ب- مرحلة التخصص والاتجاه المزدوج: شهدت هذه المرحلة تبلور اتجاهين رئيسين:

[1] - أحمد شامية، خصائص العربية والإعجاز القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر ،1995، ص 107.

– **اتجاه الإعجاز القرآني**: انصبّ الاهتمام فيه على الكشف عن الخصائص البيانية للقرآن الكريم، وبيان وجوه تميّزه، ومن أبرز أعلامه:

- الرماني (ت384هـ) في النكت في إعجاز القرآن
- الباقلاني (ت403هـ) في إعجاز القرآن
- الخطابي (ت388هـ) في بيان إعجاز القرآن

– **اتجاه نقد الكلام الأدبي** ركز على تحليل الشعر والنثر وتقويم أساليبهما، ومن أعلامه:

- قدامة بن جعفر (ت337هـ) في نقد الشعر
- عبد الله بن المعتز (ت296هـ) في البديع
- أبو هلال العسكري (ت395هـ) في الصناعتين

وقد أسهم هذا الازدواج في توسيع مجال البحث البلاغي، بين النص الديني والخطاب الأدبي.

ج–مرحلة التحول النظري: تمثل هذه المرحلة نقطة تحول حاسمة، حيث انتقل الدرس البلاغي من الاهتمام بالألفاظ المفردة إلى دراسة العلاقات بين عناصر التركيب، فبرزت فكرة أن المعنى لا يُفهم من اللفظ منفردًا، بل من موقعه داخل البنية، وقد ارتبط هذا التحول باسم عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)، الذي رسّخ هذا الاتجاه في كتابيه: أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز

حيث أقام نظرية تقوم على ربط البلاغة بالنحو، وجعل من النظم أساسًا لفهم الظواهر البيانية.

د–مرحلة التقعيد والتنظيم: في هذه المرحلة بلغ علم البلاغة درجة من النضج، تمثلت في ضبط مفاهيمه، وتحديد مصطلحاته، وتقسيمه إلى علوم مستقلة.

وقد تحقق ذلك على يد:

- السكاكي (ت626هـ) في مفتاح العلوم
- القزويني (ت739هـ) في الإيضاح وتلخيص المفتاح

حيث استقرّ تقسيم البلاغة إلى: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع

4– فروع علم البلاغة:

استقرّ الدرس البلاغي، بعد مرحلة التقعيد والتنظيم، على تقسيم هذا العلم إلى ثلاثة مجالات كبرى، تمثل أبعادًا متكاملة في تحليل الخطاب، وهي: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع[1]. ولا يُنظر

[1]– ينظر: فلاح حسن الجبوري، قطوف دانية في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان ،2015، ص 12.

إلى هذه الفروع بوصفها أقسامًا منفصلة، بل باعتبارها مستويات متداخلة تسهم مجتمعة في تحقيق الفصاحة والبلاغة.

أ–علم المعاني: يتصل علم المعاني بالجانب الوظيفي للغة، إذ يُعنى بدراسة كيفية توجيه الخطاب بما يوافق مقتضى الحال، من خلال اختيار البنية التركيبية الملائمة للسياق. وبذلك، فهو يركّز على العلاقة بين المتكلم والمتلقي، وعلى الكيفية التي يُصاغ بها المعنى ليبلغ غايته في الإفهام والتأثير، وتندرج ضمنه مجموعة من الظواهر البلاغية، من أبرزها: الخبر والإنشاء، والذكر والحذف، زالفصل والوصل، والقصر، والتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير.

ب–علم البيان: يُعنى علم البيان بدراسة طرائق التعبير عن المعنى الواحد بصور مختلفة، من خلال نقل المعنى من صورته المباشرة إلى صورة أكثر تأثيرًا وإيحاءً. ومن ثمّ فهو يرتبط بالجانب التصويري في اللغة، حيث تتجلى قدرة المتكلم على تنويع الأساليب لتحقيق الدلالة.

ومن أبرز أدواته: التشبيه، والاستعارة، والكناية.

وهي وسائل تتيح إعادة تشكيل المعنى في صور متعددة، تُثري الخطاب وتمنحه بعدًا جماليًا ودلاليًا.

ج–علم البديع: يركّز علم البديع على تحسين الكلام وتزيينه، دون الإخلال بوضوحه أو بمطابقته لمقتضى الحال، فهو يعنى بإضفاء الطابع الجمالي على الخطاب بعد استيفاء شروط الفصاحة.

وتنقسم وسائله إلى: **محسنات لفظية:** تقوم على تحسين جرس الألفاظ وتناغمها، و**محسنات معنوية:** تقوم على إبراز العلاقات الدلالية بين المعاني.

وخلاصة القول، يتبيّن أن الفصاحة تمثّل الأساس الذي يقوم عليه البناء البلاغي، إذ لا يتحقق الإبلاغ المؤثر إلا بسلامة اللفظ وانتظام التركيب، غير أنّ هذه السلامة لا تكفي وحدها لبلوغ مرتبة البلاغة، ما لم تُراعَ مقتضيات الحال، ويُحسن توظيف اللغة في سياقها التداولي.

كما يتضح أن البلاغة، في مفهومها العلمي، ليست مجرد حُسنٍ شكلي في التعبير، بل هي نظام متكامل يربط بين البنية اللغوية ووظائفها التواصلية، ويُعنى بكيفية إنتاج الخطاب على نحو يحقق الإفهام والتأثير معًا. وقد كشف تتبع نشأة هذا العلم وتطوره عن انتقاله من مستوى الذوق والملاحظة إلى مستوى التقعيد والتنظير، حتى استقر في صورة علوم ثلاثة متكاملة: المعاني، والبيان، والبديع.

ومن ثمّ، فإنّ الإلمام بأسس هذا العلم يُعدّ مدخلًا ضروريًا لفهم النصوص الأدبية وتحليلها، كما يُسهم في تنمية الملكة اللغوية لدى الدارس، وتمكينه من إنتاج خطاب سليم ومؤثر.

❖ **تطبيق:**

1. عرّف المصطلحات الآتية تعريفًا دقيقًا: البلاغة، الفصاحة، مقتضى الحال
2. بيّن العلاقة بين البلاغة والفصاحة، مع توضيح أيهما أعمّ.
3. اشرح قولهم: "ليس كل كلام فصيح بليغًا".
4. ما المقصود بمطابقة الكلام لمقتضى الحال؟ ولماذا يُعدّ هذا الشرط أساس البلاغة؟
5. حدّد عناصر العملية البلاغية (المتكلم – المخاطب – السياق)، وبيّن دور كل عنصر.
6. ما الفرق بين: فصاحة الكلمة وفصاحة الكلام.
7. علّل لماذا تُعدّ البلاغة علمًا وظيفيًا لا شكليًا فقط.

المحاضرة الثانية: أثر الفرق الكلامية في تأصيل البلاغة (المجاز عند المعتزلة نموذجا)

لا يمكن النظر إلى علم البلاغة في تطوره التاريخي بوصفه علمًا لغويًا خالصًا نشأ بمعزل عن غيره من العلوم، بل يتبيّن، عند التأمل، أنه ارتبط منذ بداياته بسياق فكري أوسع، تداخلت فيه قضايا اللغة مع مسائل الاعتقاد والتأويل. ومن ثمّ، فإن فهم البلاغة لا يكتمل إلا بإدراك طبيعتها بوصفها أداة للتواصل والإقناع، لا مجرد وسيلة لتحسين الكلام أو تجميله.

ويعدّ علم الكلام الذي يعنى بتقرير العقائد والدفاع عنها، من أبرز العلوم التي نشأ فيها علم البلاغة لأنّها تمثّل الأداة التي تُصاغ بها هذه العقائد في خطاب قادر على الإقناع والتأثير. ومن هنا نشأت علاقة تداخل بين المجالين، حيث استفاد المتكلمون من الإمكانات البلاغية في بناء حججهم، وتوجيه النصوص بما يخدم مواقفهم الفكرية.

وفي ضوء هذا التداخل، يبرز السؤال حول طبيعة علم الكلام وحدوده، وعن الكيفية التي أسهمت بها الفرق الكلامية في توجيه الدرس البلاغي، ولا سيما في القضايا التي تتصل بتأويل النص، وفي مقدمتها قضية المجاز، التي شكّلت محورًا أساسيًا في تفكير المعتزلة، وأداة رئيسة في بناء تصورهم للخطاب القرآني.

1- علم الكلام:

يُعدّ علم الكلام أحد أبرز مظاهر النشاط العقلي في الحضارة الإسلامية، إذ نشأ في سياق السعي إلى بناء نسق عقائدي متماسك يقوم على الاستدلال والدفاع، ويجمع بين معطيات العقل ومقتضيات النص. ولم يكن هذا العلم معطى جاهزًا، بل تبلور تدريجيًا مع تصاعد الحاجة إلى مواجهة الإشكالات العقائدية والرد على التيارات المخالفة، خاصة منذ مطلع القرن الثاني للهجرة، حيث برزت المعتزلة بوصفها من أوائل من أسهموا في بلورة معالمه وإرساء منهجه، وقد عرفه الفضلي عبد الهادي بأنه " بيان كيفية الاستدلال على تحصيل عقائد صحيحة جازمة بترتيب صحة الشرائع عليها، أو الاستدلال على عقائد وشرائع مخصوصة"[1]

[1]- الفضلي عبد الهادي. خلاصة علم الكلام. دار التعارف للمطبوعات. سور يا. دط. 1988م. ص9.

هذا البعد لا ينفصل عن وظيفة أخرى لا تقل أهمية، تتمثل في ردّ الاعتراضات ونقض الشبهات، وهو ما يؤكد عليه طه عبد الرحمن حين يجعل من الطابع النقدي جوهر هذا العلم، إذ يرى أن جانبه الإثباتي لا ينفصل عن اشتغاله الإبطالي القائم على المجادلة والدفع[1].

ومن خلال هذا التحديد، يتضح أن المتكلمين لا يقتصر دورهم على تقرير المعتقدات، بل يتجاوزونه إلى حراستها والدفاع عنها، عبر خطاب حجاجي يقوم على بناء الأدلة ومواجهة الخصوم، مستندين في ذلك إلى مقدمات تجمع بين المقبول عقلاً والمسلّم به عند المخاطَب. ومن ثمّ، فإن علم الكلام يُفهم بوصفه ممارسة جدلية تتأسس على الإقناع والتأثير، لا مجرد عرض نظري للمسائل العقدية.

وقد أدى هذا الاشتغال العقلي إلى تعدد الاتجاهات واختلاف المواقف، فظهرت فرق كلامية متعددة منذ أواخر القرن الأول الهجري، تبعًا لتباين تصوراتها في قضايا الإيمان والعدل والقدر وغيرها. ومن بين هذه الفرق، برزت المعتزلة بوصفها تيارًا مميزًا بطابعه العقلي ومنهجه التأويلي، ظهر في البصرة خلال أوائل القرن الثاني للهجرة، في أواخر العصر الأموي، ثم ازدهر مذهبهم في العصر العباسي، ولم يقتصر أثر المعتزلة على الجانب العقائدي، بل امتد إلى مجالات أخرى، من أهمها الدرس البلاغي، وذلك بحكم اتصالهم الوثيق بالنص القرآني، واهتمامهم بتأويله وفهم دلالاته. ولهذا يُعدّون من أكثر الفرق إسهامًا في إرساء بعض المفاهيم البلاغية، خاصة ما يتعلق بقضية المجاز.

وقد انقسم المعتزلة إلى فرعين رئيسين[2]:

- فرع البصرة، وهو الأسبق ظهورًا والأكثر تأثيرًا في التأسيس
- وفرع بغداد، الذي جاء لاحقًا واستمر في تطوير بعض اتجاهات المذهب

وعليه، فالمعتزلة تمثل أول مدرسة كلامية واسعة في الإسلام، قامت على إرساء الأصول العقلية للعقيدة[3]، وهو ما يبرز طبيعة منهجهم القائم على التحليل والاستدلال.

2- أثر المعتزلة في تطور درس المجاز:

يُعدّ اهتمام المعتزلة بالمجاز من أبرز مظاهر إسهامهم في تطوير الدرس البلاغي، إذ لم تكن دراستهم له نابعة من غرض لغوي خالص، بل ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بقضاياهم الكلامية، وبسعيهم إلى التوفيق بين النصوص الشرعية والأصول العقلية التي أقاموا عليها مذهبهم. ومن ثمّ، فقد أصبح المجاز عندهم

---

[1]- عبد الرحمن طه. تجديد المنهج في تقويم التراث. المركز الثقافي العربي. المغرب. ط2. ص142.

[2] - ينظر: أحمد أمين. ضحى الإسلام. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. ج3. ص104.

[3] - ينظر: نفسه، ص104.

أداة تفسيرية ضرورية، تُسعفهم في تأويل النصوص التي قد يبدو ظاهرها غير منسجم مع مقتضيات العقل.

ولم يكن اهتمام المعتزلة بالمجاز أمرًا عارضًا أو ذا طابع جمالي محض، بل ارتبط بجملة من الدوافع الفكرية والعقدية التي فرضت عليهم توسيع النظر في الدلالة اللغوية، والبحث في إمكانات التعبير خارج حدود الحقيقة. فقد كان حرصهم على تثبيت مبدأ التوحيد والتنزيه الإلهي من أبرز هذه الدوافع، إذ واجهوا نصوصًا قرآنية قد يوحي ظاهرها بما لا ينسجم – في نظرهم – مع تنزيه الله تعالى، فوجدوا في المجاز وسيلة لتأويل تلك النصوص بما يوافق أصولهم العقدية.

كما ارتبطت عنايتهم بالمجاز بسياق جدلي أوسع، تمثل في التصدي لما أُثير من طعون في القرآن الكريم، سواء من قبل الشعوبيين أو الزنادقة، الذين حاولوا النيل من فصاحته أو التشكيك في دلالاته. وقد استدعى ذلك البحث عن آليات لغوية دقيقة تمكّن من الدفاع عن النص، وإبراز اتساع دلالاته وقدرته على استيعاب المعاني المختلفة دون تناقض.

وفي هذا الإطار، لم ينظر المعتزلة إلى المجاز بوصفه مجرد وسيلة بلاغية للتزيين أو التحسين، بل جعلوا منه أداة تعبيرية أساسية تفرضها طبيعة اللغة ذاتها، وتقتضيها الحاجة إلى التوسع في الدلالة. ومن هنا قرروا أن المجاز يُلجأ إليه حين تضيق الحقيقة عن استيعاب المعنى المراد، وهو ما عبّر عنه القاضي عبد الجبار بقوله: «المجاز يُستعمل حيث لا تكون الحقيقة كافية»[1]، في تأكيد واضح لوظيفته المعرفية لا الجمالية فحسب.

ومن خلال هذه الدوافع، يتبين أن دراسة المجاز عند المعتزلة لم تكن منفصلة عن مشروعهم الفكري العام، بل جاءت استجابة لحاجات عقدية وحجاجية، جعلت منه أداة مركزية في فهم النصوص وتأويلها.

وفي هذا السياق، خضعت اللغة – في تصورهم – لمنطق عقلي صارم، الأمر الذي أدى إلى توجيه العناية نحو مسائل الدلالة، والبحث في العلاقة بين اللفظ والمعنى، وخاصة ما يتصل بالانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي. ولا يُستغرب هذا التوجه، إذا علمنا أن المناظرات الكلامية والجدل العقدي كانا من أبرز مجالات اشتغالهم، حيث اقتضت طبيعة هذا الخطاب الحجاجي البحث عن وسائل لغوية دقيقة تمكّن من توجيه المعنى وتثبيت الحجة.

---

[1]– القاضي عبد الجبار. تنزيه القرآن عن المطاعن. تحق: أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة. مكتبة النافذة. ط1. 2006م. ص317.

وقد أسهم هذا المناخ الفكري في دفع المعتزلة إلى تعميق النظر في ظاهرة المجاز، فانتقلوا بها من مستوى الملاحظة إلى مستوى التقعيد، حيث سعوا إلى تحديد مفهومه، وضبط حدوده، وبيان أنواعه وخصائصه، مع التمييز الواضح بينه وبين الحقيقة[1]. وبهذا، يمكن القول إنهم أسهموا في تحويل المجاز إلى موضوع علمي قائم بذاته، داخل الدرس البلاغي.

كما ارتبط استعمال المجاز عندهم ارتباطًا مباشرًا ببعض القضايا العقدية الكبرى، وعلى رأسها مسألة صفات الله تعالى، ومسألة خلق القرآن؛ إذ وجدوا في المجاز وسيلة لتأويل النصوص التي قد يُفهم منها ما لا ينسجم — في نظرهم — مع مبدأ التنزيه أو مع تصوراتهم الكلامية. ولهذا توسعوا في توظيف المجاز بمختلف صوره، واستثمروا إمكاناته الدلالية في قراءة النص القرآني قراءة عقلية تأويلية.

ومن خلال ذلك، يتضح أن المجاز عند المعتزلة لم يكن مجرد وسيلة بلاغية للتزيين، بل أداة معرفية أساسية، أسهمت في توجيه فهم النصوص، وفي بناء تصور متكامل للعلاقة بين اللغة والعقيدة.

3– علماء المعتزلة والمجاز:

في الجدول الآتي أبرز المعتزلة الذين كان لهم أثر في نضج علم البلاغة[2]:

العالم	المساهمات البلاغية البارزة
أبو عبيدة التيمي	أول من صنف كتابًا عن المجاز بعنوان "مجاز القرآن"، تناول مسائل البلاغة: المجاز العقلي، الكناية، التشبيه، الاستعارة، الالتفات، الحذف والاختصار، الإطناب، التقديم والتأخير، إدراك الفارق بين الخبر والإنشاء، والكلام بالواحد على لفظ الجمع للتفخيم.
الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)	حدّد المجاز قسيماً للحقيقة، ودمج عناصره: التشبيه، المثل، الاستعارة، الكناية، الحذف، وناقش علم المعاني (مطابقة الكلام لمقتضى الحال)، علم البديع (مثل السجع)، وعلم البيان، وبيّن أهمية قاموس كل مبدع في شعره ونثره.
الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى)	أول من صنف البلاغة إلى طبقات ومراتب، أعلاها بلاغة القرآن، مع التركيز على التأثير النفسي للبلاغة، وبيّن أن الاستعارة تفوق الحقيقة في وقعها على الذهن والنفس، وقدم تقسيمات دقيقة للمستعار والمستعار له والمستعار منه.

[1]– ينظر: أحمد أبو زيد. المنحى الاعتزالي في البيان والإعجاز القرآني. مكتبة المعارف. جامعة كاليفورنيا. 1986م. ص169.

[2] ينظر: عبد الفتاح لاشين. المعاني في ضوء أساليب القرآن. دار المعارف. ط1. 1976م. ص14.

بشر بن المعمر (أبو سهل الهلالي)	ركز على اختيار وقت الإبداع المناسب، المزاوجة بين اللفظ والمعنى، مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وأهمية الالتزام بمواضع الألفاظ لتجنب التكلف والتنافر.
الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر)	عرَّف المجاز القرآني وأوضح دلالاته وأساليبه في تفسير "الكشاف"، مؤسس مرحلة التأصيل للمجاز البلاغي، وبرز في تحليل لطائف اللغة والأسلوب القرآني.

وخلاصة القول، يتبيّن أن البلاغة العربية لم تتشكّل في فراغٍ لغويٍّ معزول، بل نشأت في سياقٍ فكريٍّ معقّد، تداخلت فيه قضايا اللغة مع رهانات الاعتقاد والتأويل، فغدت أداةً مركزية في بناء الخطاب الحجاجي وتوجيهه. وفي هذا الإطار، أسهمت الفرق الكلامية—وفي مقدمتها المعتزلة—إسهامًا حاسمًا في توجيه الدرس البلاغي، من خلال نقل النظر من حدود الوصف اللغوي إلى آفاق التأويل العقلي. وقد تبيّن من خلال دراسة قضية المجاز أن هذه الظاهرة لم تُفهم عند المعتزلة بوصفها مجرد وسيلة أسلوبية للتزيين، بل باعتبارها أداة معرفية تؤدي وظيفة تفسيرية وتأويلية، تُسعف في التوفيق بين ظاهر النص ومقتضيات العقل. ومن ثمّ، فقد أسهموا في ترسيخ الوعي بالعلاقة بين اللفظ والمعنى، وفي تعميق البحث في آليات الدلالة، بما مهّد لظهور التفكير البلاغي في صورته النظرية الناضجة.

كما يكشف هذا التداخل بين البلاغة وعلم الكلام عن انتقال الدرس البلاغي من مستوى الذوق والملاحظة إلى مستوى التقعيد والتنظير، حيث لم تعد الظواهر اللغوية تُدرس في ذاتها، بل في علاقتها بوظائفها الحجاجية والتداولية. وهو ما يبرز الطبيعة الوظيفية للبلاغة بوصفها علمًا يُعنى بكيفية بناء المعنى وتوجيهه، لا بمجرد تحسين صورته.

وعليه، فإن فهم البلاغة العربية يظلّ رهينًا باستحضار أبعادها الفكرية والسياقية، إدراكًا لكونها علمًا يتقاطع فيه اللغوي بالعقدي، والجمالي بالحجاجي، وهو ما يمنحها مكانتها المركزية ضمن العلوم العربية الإسلامية، ويفتح أمام الدارس آفاقًا أوسع لفهم النصوص وتحليلها في ضوء تداخل مستوياتها الدلالية والتأويلية.

❖ **تطبيق:**

1. بيّن العلاقة بين البلاغة وعلم الكلام، مع توضيح وظيفة البلاغة في الخطاب الكلامي.
2. ما الدور الذي أدّاه المعتزلة في تطوير الدرس البلاغي؟

3. لماذا اهتمّ المعتزلة بالمجاز أكثر من غيرهم؟ علّل ذلك.

4. ما الفرق بين النظر إلى المجاز بوصفه وسيلة جمالية أوأداة معرفية.

5. اشرح العبارة الآتية: "المجاز عند المعتزلة ضرورة تأويلية لا مجرد اختيار بلاغي"

المحاضرة الثالثة: الأسلوب الخبري وأضربه

يُعدّ تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء من القضايا الأساسية التي اعتمدها علماء البلاغة في تحليل الخطاب، إذ ينطلق هذا التقسيم من طبيعة العلاقة التي يقيمها الكلام مع الواقع الخارجي. فالكلام – في نظرهم – لا يخرج عن أن يكون إما متضمنًا نسبة يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، وإما خاليًا من هذه النسبة، بحيث لا يُوصف بهما.

وعلى هذا الأساس، يكون الخبر هو ما اشتمل على نسبة بين طرفين، يمكن أن تطابق الواقع أو تخالفه، أما إذا كان الكلام لا يتضمن نسبة من هذا القبيل، ولا يُقصد به الإخبار عن أمر يمكن التحقق منه، فإنه يُعدّ من قبيل الإنشاء.

وقد عبّر القزويني عن هذا التقسيم تعبيرًا دقيقًا بقوله: "الكلام إما خبر أو إنشاء؛ لأنه إما يكون لنسبته خارج تطابقه، أو لا تطابقه، أولا يكون لها خارج، الأول الخبر، والثاني الإنشاء"[1]، ويكشف هذا التعريف عن أن معيار التمييز بين النوعين ليس شكليًا، بل يقوم على طبيعة الدلالة وعلاقتها بالواقع.

ومن ثمّ، استقرّ عند البلاغيين أن الأسلوب ينقسم إلى أسلوب خبري وآخر إنشائي، وهو تقسيم لا يقتصر على الجانب النحوي، بل يتصل بوظيفة الكلام وغايته في السياق. ولأجل الإحاطة بهذا الموضوع، يقتضي الأمر الوقوف أولًا عند مفهوم الأسلوب في ذاته، ثم تحديد معنى الخبر والإنشاء، قبل الانتقال إلى دراسة خصائص كل منهما وأغراضه.

1- الأسلوب:

يحتلّ مفهوم الأسلوب مكانة محورية في الدراسات البلاغية، إذ لا يُنظر إلى الكلام من حيث مفرداته أو تراكيبه فحسب، بل من حيث الطريقة التي يُصاغ بها ويُبنى عليها الخطاب. وفي هذا الإطار، عرَّفه (ابن خلدون) في كتابه (المقدمة) بالقول: "اعلم أنها عبارة عندهم عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه"[2]، وهو تعريف يُبرز أن الأسلوب ليس عنصرًا لغويًا قائمًا بذاته، بل هو الكيفية التي تنتظم بها عناصر اللغة داخل بنية التعبير.

---

[1]- الخطيب القزويني. الايضاح في علوم البلاغة ص32.

[2]- عبد الرحمان بن محمد بن خلدون. مقدمة ابن خلدون. دار صادر. بيروت. ط1. 2000م. ص461.

وبذلك، لا يكون الأسلوب هو المفردات ذاتها، ولا التراكيب في حدّ ذاتها، وإنما هو كيفية توظيفها داخل السياق لتحقيق غرض معين، وهو ما يفسّر تنوّع الأساليب وتباينها في الخطاب العربي. وانطلاقًا من هذا التصور، قسّم البلاغيون الأسلوب إلى نوعين رئيسين: خبري وإنشائي، تبعًا لوظيفة الكلام وطبيعته.

ولما كان هذا التقسيم يقوم على التمييز بين ما يُخبر به وما يُنشأ به، فإن فهم الأسلوب الخبري يقتضي الوقوف أولًا عند مفهوم الخبر، من حيث طبيعته وحدوده، قبل الانتقال إلى بيان خصائصه وأغراضه.

2- الخبر:

يندرج الخبر ضمن أهم البنى التعبيرية التي يقوم عليها الخطاب في الدرس البلاغي، إذ يتحدد من خلال علاقته بالواقع وطبيعة دلالته. وقد أجمع البلاغيون على أن "الخبر هو الكلام المحتمل للصدق والكذب"، وعلى هذا الأساس، يكون معيار الحكم عليه قائمًا على مطابقته للواقع أو عدم مطابقته؛ فإن وافقه عُدّ صادقًا، وإن خالفه كان كاذبًا.

ومن ثمّ، يُفهم الأسلوب الخبري بوصفه وسيلة لغوية تُعنى بنقل المعارف، وتقرير الوقائع، والإبانة عن المعاني، في إطار يحتمل التصديق أو التكذيب.

ولا ينفصل تحليل الخبر عن مراعاة حال المتلقي، لأن البلاغة في جوهرها قائمة على مطابقة الكلام لمقتضى الحال. فالمخاطَب قد يكون خالي الذهن، فيُلقى إليه الخبر دون توكيد، وقد يكون مترددًا، فيحتاج إلى ما يعزّز صدقه، أو منكرًا، فيُواجه بخطاب مؤكد يرفع إنكاره. ومن هنا، ربط البلاغيون بين صياغة الخبر وأحوال المتلقين، وجعلوا ذلك أساسًا لتقسيمه.

وبناءً على هذا الاعتبار، قُسّم الخبر إلى ثلاثة أضرب رئيسة: ابتدائي، وطلبي، وإنكاري، وهو تقسيم يقوم على درجة تقبّل المخاطَب للخبر، ويكشف عن الدور المحوري للمتلقي في توجيه البنية الأسلوبية للخطاب.

3- أضرب الخبر:

تتمثل أضرب الخبر في الآتي[1]:

[1]- عبد القادر محمد مايو. البلاغة العربية "الخبر والإنشاء". دار القلم العربي. حلب. دط. دت. ص 05.

3-1- الخبر الابتدائي: يقصد بهذا النوع من الخبر مخاطبة السامع دون حمله على الحكم المسبق بمضمون الكلام، إذ لا تتطلب المسألة توكيدًا إضافيًا، لذلك يُعرف بالخبر الابتدائي. ومثاله قول الشاعر:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

3-2- الخبر الطلبي: هو ذلك الخبر الذي يُلقى على المخاطب المتردد أو الشاكّ في مضمون الكلام، حيث يقتضي الأمر توكيده. ويُصاغ هذا الخبر باستخدام مؤكد واحد ليقنع السامع بمصداقية ما يُقال، ويُسمى بذلك (طلبيًا) لارتباطه بحاجة المخاطب إلى الإقناع.

ومثاله قول الشاعر:

إنّ الذي بمقال الزور يضحكني مثل الذي بقال الحق يبكيني

3-3- الخبر الإنكاري: يُعدّ الخبر الإنكاري أبلغ أضرب الخبر، إذ يُوجَّه إلى مخاطَب ينكر مضمون الخبر ويرفض التسليم به، مما يقتضي من المتكلم أن يعمد إلى تقوية كلامه وتدعيمه بمختلف وسائل التوكيد. ومن هنا، ترتبط صياغة هذا النوع من الخبر بحال المتلقي، بحيث تتناسب درجة التوكيد مع شدّة الإنكار؛ فكلما اشتدّ رفض المخاطَب، ازداد اعتماد المتكلم على المؤكدات لتثبيت المعنى وترسيخه، ويتجلى هذا الأسلوب في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾، حيث اجتمع في الآية أكثر من مؤكد، تمثّل في القسم، و"إنّ" التوكيدية، واللام المزحلقة، وذلك لمواجهة إنكار المشركين للحقائق التي خوطبوا بها، فاقتضى المقام هذا القدر من التوكيد لإزالة الشك وترسيخ اليقين.

ومن خلال ذلك، يتبين أن الخبر الإنكاري لا يقوم على مجرد الإخبار، بل يتجاوز ذلك إلى وظيفة حجاجية، تهدف إلى ردّ الإنكار، وإقناع المخاطَب، باستعمال ما يلائم حاله من أدوات التوكيد.

وإذا كان الخبر يتنوع بحسب حال المتلقي إلى ابتدائي وطلبي وإنكاري، فإن له كذلك أغراضًا بلاغية متعددة، تتجاوز معناه الأصلي، وتختلف باختلاف السياق ومقتضى الحال، وهو ما يدعو إلى الوقوف على هذه الأغراض وبيان صورها في الاستعمال البلاغي.

4- أدوات التوكيد في الأسلوب الخبري:

يقصد بمؤكدات الخبر الوسائل اللغوية التي يلجأ إليها المتكلم لتقوية كلامه، بهدف إزالة ما قد يعتري نفس المخاطَب من تردد أو إنكار، وترسيخ مضمون الخبر في ذهنه. وتتنوع هذه المؤكدات بحسب المقام، ومن أبرزها الآتي[1]:

---

[1] ينظر: عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، بيروت: دار النهضة العربية، ص 53.

أداة التوكيد	التعريف / الوظيفة	لمثال
نون التوكيد (الخفيفة والثقيلة)	تلحق بالفعل لتأكيد حدوثه وتوكيده	﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (يوسف: 32)
لام القسم	تدخل في جواب القسم لتأكيده	واللهِ لأدرسَنَّ حتى أنجح
لام الابتداء	تقع في صدر الجملة لتوكيد مضمونها	﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا﴾ (يوسف: 8)
قد	مع الماضي: تفيد التحقيق، ومع المضارع: التقليل أو التوقع	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون: 1)
إنّ وأنّ	حرفان يفيدان توكيد مضمون الجملة الاسمية	﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: 153)
كأنّ	تفيد التشبيه المؤكد	كأنَّ العلمَ نورٌ
لكنّ	تفيد التوكيد مع الاستدراك	لكنَّ الحقَّ واضحٌ
السين وسوف	تفيدان الاستقبال مع دلالة توكيد الوعد أو الوعيد	﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (الطلاق: 7)
المفعول المطلق	مصدر من جنس الفعل يفيد توكيده	﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ (النساء: 164)
ضمير الفصل	يفيد تقوية الحكم وتوكيده	﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: 5)
حروف التنبيه	تستعمل للتنبيه مع إفادة التوكيد	﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس: 62)
الحروف الزائدة	تزاد في التركيب لتقوية المعنى وتوكيده	﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (فصلت: 46)

5- أغراض الأسلوب الخبري:

لا يقتصر الأسلوب الخبري على مجرد نقل المعنى أو الإخبار به، بل تتحدد وظيفته تبعًا لمقتضيات الحال التي يُوجَّه فيها الخطاب، وبحسب طبيعة العلاقة بين المتكلم والمتلقي. فقد يَرِد الخبر مطابقًا لما يقتضيه الظاهر من حال المخاطَب، فيُلقى على وجهه الأصلي دون خروج أو انحراف، إذا كان السياق

لا يستدعي أكثر من مجرد الإخبار، وقد يعدل المتكلم عن هذا الأصل، فيُخرج الخبر عن مقتضى الظاهر، حين يلحظ في حال المتلقي أو في ظروف المقام ما يقتضي ذلك العدول، كأن يكون في النفس إنكار خفي، أو تردد، أو حاجة إلى توجيه غير مباشر. وفي هذه الحالة، لا يُراد من الخبر مجرد الإبلاغ، بل يُقصد به أداء وظائف بلاغية تتجاوز معناه الأصلي.

ومن هنا، تنوّعت أغراض الأسلوب الخبري تبعًا لهذا الاعتبار إلى نوعين رئيسين: خبر يُلقى على وفق مقتضى الظاهر، وخبر يَرِد على خلافه، وهو تقسيم يُبرز مرونة الخطاب البلاغي، وقدرته على التكيّف مع اختلاف السياقات وأحوال المتلقين.

5-1- الأسلوب الخبري وفقا مقتضى الظاهر:

يتحدد توجيه الخبر في الخطاب البلاغي بحسب مقصد المتكلم وحال المتلقي، إذ لا يُلقى الخبر اعتباطًا، بل يُبنى على ما يقتضيه المقام من وظائف دلالية وتواصلية. فقد يقصد المتكلم من خبره إفادة المخاطَب بمعلومة يجهلها، فيكون الغرض حينئذٍ إخباريًا خالصًا، وقد يتجاوز ذلك إلى تثبيت المعنى في نفس المتلقي، أو توكيده، أو تحقيقه في ذهنه، إذا كان على علم به أو مترددًا فيه.

وعليه ربط البلاغيون الخبر بما يؤديه من وظائف في السياق، فقسّموه — من حيث الغرض — إلى نوعين: فائدة الخبر، ولازم الفائدة، وهما صورتان تعكسان اختلاف المقاصد بين إعلام المخاطَب بما يجهله، أو تنبيهه إلى ما يعلمه مع إرادة تحقيقه وتوكيده في نفسه كالآتي[1]:

– **فائدة الخبر**: تُعدّ فائدة الخبر الغرض الأصلي الذي يُلقى من أجله الكلام الخبري، إذ يقصد المتكلم من خلاله إلى تزويد المخاطَب بمعلومة جديدة لم تكن حاضرة في ذهنه من قبل. ويقوم هذا الغرض على افتراض أن المتلقي خالي الذهن من مضمون الخبر، لا علم له به، ولا موقف سابق لديه تجاهه، ومن ثمّ يكون الخطاب موجّهًا لإعلامه بحكم أو معنى يجهله.

وفي هذه الحالة، يأتي الخبر خاليًا من أدوات التوكيد، لعدم الحاجة إليها، إذ لا يوجد إنكار أو تردد يقتضي تقوية القول، وإنما يُلقى على وجهه البسيط المباشر، تحقيقًا لوظيفته الإبلاغية. ومن ثمّ، يكون المتكلم في هذا المقام بصدد نقل معرفة جديدة إلى السامع، كأن يُقال: "الدين المعاملة"، حيث يتلقى المخاطَب هذه الأخبار بوصفها معارف تُضاف إلى رصيده الذهني.

-لازم الفائدة:

---

[1]- الخطيب القزويني. الايضاح في علوم البلاغة، ص27.

يُراد بلازم الفائدة ذلك الغرض الذي لا يُقصد فيه إلى إفادة المخاطَب بمعلومة جديدة، لأنه يكون عالمًا بها سلفًا، وإنما يُلقى الخبر لإفادة أمر آخر، وهو إظهار أن المتكلم نفسه عالم بهذه المعلومة ومُدرك لها. ومن ثمّ، فإن وظيفة الخبر في هذا المقام لا تتمثل في الإخبار، بل في تأكيد المشاركة في العلم، أو التنبيه إلى ما هو معلوم عند الطرفين.

وسُمّي هذا الغرض بـ"لازم الفائدة"؛ لأن العلم بمضمون الخبر لازمٌ لكل متكلم، إذ لا يُخبر الإنسان عادةً إلا عمّا يعلم أو يظن، فكان الإخبار هنا متجهًا إلى لازم المعنى، لا إلى أصله. وبذلك، يتحول الخبر من مجرد نقل للمعلومة إلى وسيلة لإبراز موقف المتكلم أو تأكيد إدراكه لما وقع.

ويتضح هذا في نحو قولك لمن يعلم حاله: "إنك لتكظم الغيظ"، حيث لا يُقصد إعلام المخاطَب بما يجهله، وإنما الإشارة إلى علم المتكلم بذلك، مع ما قد يتضمنه السياق من تقويم أو إشادة أو توجيه.

5-2- الأسلوب الخبري بخلاف مقتضى الظاهر:

قد يعدل المتكلم عن إلقاء الخبر وفق ما يقتضيه ظاهر حال المخاطَب، فيوجّهه على خلاف ذلك، إذا لاحظ في سلوكه أو موقفه ما لا ينسجم مع علمه المفترض بمضمون الخبر. وفي هذه الحالة، لا يكون الهدف مجرد الإخبار، بل تحقيق غرض بلاغي يتجاوز المعنى الأصلي، كالتنبيه أو التوبيخ أو التعجب.

ومن ثمّ، فإن خروج الخبر عن مقتضى الظاهر يُعدّ من مظاهر مرونة الخطاب البلاغي، إذ يُستعمل حين يقتضي المقام معالجة موقف خاص عند المتلقي، لا يعبّر عنه ظاهر حاله. ولهذا تعددت صور هذا الخروج وتنوعت أغراضه، تبعًا لاختلاف السياقات وأحوال المخاطَبين.

أ- إنزال المنكر منزلة خالي الذهن:

ومن صور الخروج عن مقتضى الظاهر أيضًا أن يُنزَّل المخاطَب، وهو في الأصل منكر للخبر، منزلة خالي الذهن، وذلك إذا قامت أمامه دلائل واضحة كافية لإزالة إنكاره لو أحسن النظر فيها. ففي هذه الحالة، يُلقى إليه الخبر مجردًا من التوكيد، وكأنه لا يعلم به، اعتمادًا على قوة الحجّة ووضوح البرهان.

ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾، حيث خوطب المشركون بهذا الخبر دون توكيد، مع أنهم منكرون لوحدانية الله[1]، إلاّ أنّ وجود الشواهد الدالة على هذه الحقيقة في الكون والنفس يجعل إنكارهم في حكم المعدوم، فكأنهم خالون من العلم بها، فخوطبوا على هذا الأساس.

[1]- ينظر: يوسف أبو العدوس. مدخل إلى البلاغة العربية. ص59.

ومن ثمّ، فإن هذا الأسلوب يعكس اعتماد الخطاب البلاغي على قوة الدليل، بحيث يُستغنى عن التوكيد، ويُترك المجال للعقل ليدرك الحقيقة إدراكًا مباشرًا.

ب- إنزال خالي الذهن منزلة المتردد السائل الذي يطلب تأكيد الخبر له:

من صور الخروج عن مقتضى الظاهر أن يُنزَّل المخاطَب، وهو خالي الذهن من الخبر، منزلة المتردد الذي يحتاج إلى تأكيد، وذلك إذا دلّ السياق على وجود ترقّب لمعرفة مضمون الخبر. فهذه الحالة النفسية، وإن لم تكن شكًّا حقيقيًا، تُعامَل معاملة التردد[1]، مما يقتضي تقوية الخبر بأدوات التوكيد.

ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (36) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (37)﴾، فقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾، في سياق خطاب نوح عليه السلام، حيث سبق هذا الإخبار ما يدل على حسم الأمر بهلاك القوم، كالإخبار بعدم إيمانهم، والأمر بصنع الفلك. ومع ذلك، جاء الخبر مؤكدًا بـ"إنّ" والجملة الاسمية[2]، مراعاةً لما قد يعتري نفس نوح عليه السلام من توقّع أو رجاء في تأخير العذاب أو رفعه، فكان هذا الترقب في حكم التردد، مما سوّغ توكيد الخبر.

ومن ثمّ، فإن توكيد الخبر في هذا الموضع لا يُفهم على ظاهره، بل يُفسَّر في ضوء الحالة النفسية للمخاطَب، وهو ما يكشف عن دقة التعبير القرآني في مراعاة مقتضيات الحال.

ج- تنزيل المتردد منزلة خالي الذهن:

ومن صور الخروج عن مقتضى الظاهر تنزيل المتردد منزلة خالي الذهن، وذلك إذا كان تردده غير قائم على سبب معتبر، بحيث يكون الخبر في نفسه واضحًا أو مدعومًا بقرائن كافية تغني عن توكيده. ففي هذه الحالة، يُلقى الخبر مجردًا من أدوات التوكيد، اعتمادًا على قوة الدليل ووضوح المعنى.

ومن ذلك ما يورده البلاغيون في نحو قولهم: "الشمس طالعة"، إذ يُخاطَب به من يتردد في أمر ظاهر لا يخفى، فتُلقى الجملة خالية من التوكيد، لأن المقام لا يقتضيه[3]، بل إن إدخاله قد يُعدّ خروجًا عن مقتضى البلاغة. فالتعبير هنا يقوم على إلغاء أثر التردد، وتنزيله منزلة العدم، اعتمادًا على بداهة الخبر وظهوره.

---

[1]- حسن طبل. علم المعاني في الموروث البلاغي. مصر. ط2. 1425هـ. ص25.

[2]- عبد الرحمن حسن حنك الميداني. البلاغة العربية أسسها علومها وفنونها. دار القلم. دمشق، بيروت. ط1. 1996م. ص183

[3]- ينظر: الخطيب القزويني، *الإيضاح في علوم البلاغة*، ص: 87.

ويكشف هذا الاستعمال عن دقة البلاغيين في مراعاة أحوال المخاطبين، إذ لا يُنظر إلى التردد من حيث وجوده فقط، بل من حيث قوته واعتباره في السياق، وهو ما يجعل تجريد الخبر من التوكيد في مثل هذا المقام أبلغ وأوفق بمقتضى الحال.

د- تنزيل غير المنكر منزلة المنكر:

ومن صور الخروج عن مقتضى الظاهر أن يُنزَّل المخاطَب، الذي لا يُنكر الخبر في حقيقته، منزلة المنكر، إذا ظهرت عليه أمارات توحي بخلاف ذلك، سواء في سلوكه أو في موقفه. ففي هذه الحالة، يعمد المتكلم إلى تقوية خبره بأدوات التوكيد، لا لرفع إنكار صريح، بل لمعالجة ما يُفهم ضمنًا من تردد أو غفلة، وكأنه يُخاطب من يُنكر الحقيقة.

ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾، حيث خوطب الناس بخبر مؤكد، مع أنهم لا ينكرون حقيقة الموت، غير أن تصرفاتهم توحي بإغفال هذه الحقيقة، وكأنهم في حكم المنكر لها. فجاء التعبير مشحونًا بالمؤكدات، كـ"إنّ" واللام، إلى جانب اختيار الصيغة الاسمية "ميتون"، بدل الفعل "تموتون"[1]، لما في ذلك من دلالة على الثبوت والتحقق، تأكيدًا للمعنى وترسيخًا له في النفس.

ومن ثمّ، فإن هذا الأسلوب يكشف عن دقة البلاغة في مراعاة حال المخاطَب، لا من حيث اعتقاده الظاهر، بل من حيث ما تدل عليه أفعاله وسلوكه.

هـ- تنزيل المنكر منزلة المتردد:

ومن صور مراعاة حال المخاطَب تنزيل المنكر منزلة المتردد، وذلك إذا كان إنكاره ضعيفًا غير جازم، بحيث يُكتفى في رفعه بتوكيد يسير. ففي هذه الحالة، لا يُبالغ المتكلم في تقوية الخبر، بل يكتفي بما يزيل التردد الكامن في النفس.

ومن ذلك قولك لمن يُظهر إنكارًا غير شديد لنجاح طالب: "إنّ الطالبَ لَناجحٌ"، حيث جاء الخبر مؤكدًا بـ"إنّ" واللام، على وجه لا يبلغ غاية التوكيد، وإنما يُقصد به إزالة الشك وترجيح جانب التصديق[2]، لكون إنكاره غير راسخ، ومثاله أيضا لمن ينكر فضل العلم: (إن العلم نافع)، ألقي على

---

[1]- ينظر: الخطيب القزويني. شرح التلخيص في علوم البلاغة. شرحه: محمد هاشم دويدي. دار الحكمة. دمشق. ط1. 1970م. ص21، وحسين جمعة. جمالية الخبر والإنشاء. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق. دط. 2005م. ص55.

[2]- الخطيب القزويني، *الإيضاح في علوم البلاغة*، ص: 85

المتلقي المنكر صورة الخبر المناسبة للمتردد رغم أنه منكر؛ لأن إنكاره ضعيف، يزول بأدنى تأكيد[1]، والتأكيد هنا يعني تمكين الحكم في النفس، وتقويته على نحو يزيل شك المخاطَب.

و- تنزيل المتردد منزلة المنكر:

ومن صور مراعاة حال المخاطَب في الخطاب البلاغي أن يُنزَّل المتردد منزلة المنكر، وذلك إذا اشتدّ تردده وقارب حدّ الإنكار، بحيث لم يعد مجرد تردد بسيط، بل أصبح ميلًا إلى نفي مضمون الخبر. وفي هذه الحالة، يقتضي المقام تقوية الخبر وتدعيمه بأدوات التوكيد، لرفع هذا التردد وترجيح جانب التصديق في نفس المخاطَب.

ومن ثمّ، يُصاغ الخبر مصحوبًا بأكثر من مؤكد، كاستعمال "إنّ" واللام، نحو قولك: "إنّ صديقك لقادم"، حيث يُلقى هذا الخبر على مخاطَب يتردد في قدوم صديقه، مع ميل إلى عدم تصديقه[2]، فكان من مقتضى البلاغة توكيد الخبر بما يزيل هذا التردد، ويُثبّت المعنى في ذهنه.

6- المعاني المجازية التي يخرج إليها الأسلوب الخبري:

هناك أغراض مجازية للأسلوب الخبري، تفهم من السياق وقرائن الأحوال، يتمثل أهمها في الآتي[3]:

الغرض البلاغي	المثال
الاسترحام والاستعطاف	إلهي أنا عبدك العاصي، أتوب إليك من ذنوبي
المدح	قال المتنبي: إنك شمس والملوك كواكب *** إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكب
إظهار الضعف والخشوع	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ (مريم: 4)
التحسر	﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ (آل عمران: 36)
الفرح	﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ (الإسراء: 81)
التوبيخ	قول مأثور: لم تعجبني نتائجك
التحذير	قال النبي ﷺ: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق«
الفخر	قال المتنبي: أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي *** وأسمعت كلماتي من به صمم
النصح والإرشاد	قول مأثور: إن سلامة القلب والروح أجمل الخصال

[1]- عيسى علي العاكوب، علي سعد الشتيري. الكافي في علوم البلاغة العربية. ص81.

[2]- ينظر: يوسف أبو العدوس. مدخل إلى البلاغة العربية. ص59.

[3]- ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. جامع الكتب الإسلامية. ج1. ص61.

وخلاصة القول، يتبيّن أن الأسلوب الخبري لا يُختزل في كونه مجرد أداة لنقل الوقائع أو تقرير المعاني، بل يتجاوز ذلك إلى كونه بنية بلاغية معقّدة تتشكّل في ضوء العلاقة التفاعلية بين المتكلم والمخاطَب والسياق. ومن ثمّ، فإن قيمة الخبر لا تُقاس بمضمونه وحده، بل بكيفية توجيهه وصياغته وفق مقتضيات الحال، وهو ما يجعل منه أداة مركزية في بناء الخطاب وإحكام دلالته.

وقد أظهر تحليل أضرب الخبر أن هذا الأسلوب يخضع لمنطق تداولي دقيق، يقوم على مراعاة الحالة الذهنية للمتلقي، من خلوّ الذهن إلى التردد فالإنكار، وما يستتبع ذلك من تنويع في درجات التوكيد. كما كشف تنوّع أغراضه عن طاقته التعبيرية الواسعة، إذ ينتقل من الوظيفة الإخبارية إلى وظائف بلاغية أخرى، كالإقناع، والتوبيخ، والتعجب، والإرشاد، مما يدل على مرونة الخطاب العربي وقدرته على التكيّف مع مختلف المقامات.

كما يتّضح أن الخروج بالخبر عن مقتضى الظاهر لا يُعدّ انحرافًا عن القاعدة، بل هو تجلٍّ من تجليات البلاغة، يعكس وعي المتكلم بأحوال المخاطَب، وقدرته على توجيه المعنى توجيهًا يحقق الغرض المقصود بأبلغ وجه. وهو ما يؤكد أن البلاغة في جوهرها علم وظيفي، يُعنى ببناء المعنى في سياقه، لا بمجرد وصف البنى اللغوية في ذاتها.

وعليه، فإن إدراك خصائص الأسلوب الخبري وأغراضه يُمثّل مدخلًا أساسيًا لفهم طبيعة الخطاب العربي، ويُسهم في تنمية ملكة التحليل البلاغي لدى الدارس، بما يمكّنه من الانتقال من مستوى الفهم السطحي إلى مستوى الوعي الدلالي العميق، الذي يُدرك من خلاله أسرار التعبير ودقائق التوجيه في اللغة العربية.

❖ **التطبيق الأوّل:**

1. يقول تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ (الشورى: 19)
2. يقول تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (الفجر: 14)
3. يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: 96)
4. يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (آل عمران: 11)

المطلوب:

1 املأ الجدول الآتي:

الآية	نوع الخبر	حال المخاطَب

2 استخرج أدوات التوكيد في كل آية (إن وُجدت)

3 لماذا خلت بعض الآيات من التوكيد؟

4 ما العلاقة بين: نوع الخبر ودرجة التوكيد؟

5 استنتج قاعدة عامة: متى يُؤَكَّد الخبر؟ ومتى يُترك بدون توكيد؟

❖ **التطبيق الثاني:** :

1. يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: 173)
2. يقول تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ (البقرة: 163)
3. يقول تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (الزمر: 30)
4. يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (الانفطار: 13)

المطلوب:

1 املأ الجدول:

الآية	الغرض البلاغي

2 حدّد الآية التي تمثل فائدة الخبر، علّل إجابتك.

3 حدّد الآية التي تمثل لازم الفائدة، علّل إجابتك.

4 استخرج آية فيها خروج عن مقتضى الظاهر محددا نوعه (مثال: تنزيل غير المنكر منزلة المنكر...)، ثمّ بيّن الغرض البلاغي من هذا الأسلوب.

المحاضرة الرابعة: الأسلوب الإنشائي وأضربه

تبيّن من خلال الدرس السابق، المتعلق بالأسلوب الخبري وأضربه، أن البلاغيين قسّموا الكلام إلى نوعين رئيسين: خبر وإنشاء، كما تم الوقوف على مفهوم الأسلوب الخبري وبيان أنواعه المختلفة تبعًا لأحوال المخاطَبين.

وإذا كان الخبر يقوم على الإخبار بما يحتمل الصدق والكذب، فإن النوع الثاني من الأسلوب، وهو الأسلوب الإنشائي، يقوم على طبيعة مغايرة في الدلالة والوظيفة. ومن ثمّ، يقتضي الانتقال إلى هذا النوع بالوقوف على حقيقته، وبيان خصائصه، وتحديد أضربه المختلفة في الاستعمال البلاغي.

أولا– تعريف الأسلوب الإنشائي:

يُعدّ الأسلوب الإنشائي أحد الركنين الأساسيين في تقسيم الكلام عند البلاغيين، إلى جانب الأسلوب الخبري، غير أنّه يتميّز عنه بطبيعة دلالية خاصة، تقتضي الوقوف على مفهومه من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية.

لغة: يرتبط لفظ "الإنشاء" في اللغة بمعاني الابتداء والإيجاد والبناء، إذ تدل مادته في الاستعمال العربي على إحداث الشيء وإيجاده على غير مثال سابق، فيقال: أنشأ الشيء، أي ابتدأه وأوجده[1]. كما يُستعمل في معنى التشييد والبناء، كقولهم: أنشأ دارًا، أي أقامها وشرع في بنائها[2]، وهو ما يكشف عن دلالة الإنشاء على الإحداث والإيجاد.

اصطلاحا: استقرّ تعريف الإنشاء على كونه كلامًا لا يحتمل الصدق ولا الكذب، لأنه لا يُقصد به الإخبار عن واقع يمكن التحقق من مطابقته أو عدم مطابقته، حيث يقول التفتازاني "الإنشاء قد يقال على الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه "[3]، بمعنى أنّ الإنشاء يُفهم بوصفه كلامًا يُنشئ به المتكلم معنى جديدًا لحظة التلفظ، لا أنه يخبر عن أمر سابق الوجود[4]، كما في قولك: "اجتهد" أو "لا تهمل"، حيث لا يتحقق مضمون الطلب إلا بصدور الخطاب نفسه. ومن ثمّ، يتحدد

---

[1]– الجوهري. الصحاح. تحق: أحمد عبد الغفور عطار. دار العلم للملايين. بيروت. ط4. (1407هـ– 1987م). مادة نشأ. ج1. ص166.

[2]– محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي. تاج العروس. دار الهداية. مادة نشأ. ج1. ص127.

[3]– سعد الدين مسعود التفتازاني الهروي. المطول في شرح تلخيص المفتاح. مكتبة الأزهر للتراث. دط. 1330هـ. ص424.

[4]– ينظر: أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة ، ص 79، 80.

الفرق الجوهري بين الخبر والإنشاء في كون الأول ينقل واقعًا، في حين يُنشئ الثاني فعلًا أو طلبًا أو معنى لا وجود له قبل التعبير عنه.

ثانيا– أقسام الأسلوب الإنشائي:

ينقسم الأسلوب الإنشائي إلى قسمين رئيسين، يقوم التمييز بينهما على طبيعة العلاقة بين الخطاب والمطلوب فيه: أهو أمرٌ يُطلب حصوله، أم معنى لا يُقصد به الطلب ابتداءً، يقول القزويني في هذا: "الأول الإنشاء الطلبي، وهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، والثاني الإنشاء غير الطلبي، وهو ما ليس كذلك ... ومنه: القَسَم والتَعجُّب والتَرجّي وصِيغَة المدح والذم"[1]

فالقسم الأول هو الإنشاء الطلبي، وهو ما يتضمن طلبًا لأمر غير حاصل وقت التلفظ به، بحيث يسعى المتكلم إلى إيجاده أو استدعائه من المخاطَب، كالطلب بالفعل أو الكفّ عنه أو الاستفهام عنه. وتكمن خصوصيته في كونه موجّهًا نحو تحقيق شيء في الخارج لم يكن متحققًا لحظة الخطاب، مما يجعله مرتبطًا بالفعل التأثيري للغة في الواقع.

أما القسم الثاني، فهو الإنشاء غير الطلبي، وهو ما لا يتضمن طلبًا لشيء غير حاصل، بل يُستعمل لأداء معانٍ تعبيرية لا يُقصد بها الاستدعاء أو الإلزام، وإنما التعبير عن موقف نفسي أو انفعالي أو تقويمي، كالقسم والتعجب والترجّي وصيغ المدح والذم. ومن ثمّ، فإن هذا النوع لا ينشئ طلبًا، بل يُنشئ معنى دلاليًا يعبّر به المتكلم عن حال أو شعور.

وعلى هذا الأساس، يتضح أن اختلاف أضرب الإنشاء إنما يرجع إلى اختلاف المقاصد التي يُؤدّيها، بين طلبٍ يُراد تحصيله، ومعنى يُراد التعبير عنه، وهو ما يستدعي الوقوف على تفصيل هذه الأضرب وبيان خصائص كل منها في الاستعمال البلاغي.

1– الأسلوب الإنشائيّ الطَّلَبيّ: الأساليب الإنشائية الطلبية هي: " ما يستدعي مطلوباً غير حادث وقت الطلب، كالنهي والتمني والدعاء والنداء والاستفهام "[2]، وعليه فأساليب الإنشاء الطلبي خمسة كالآتي:

---

[1]– الخطيب القزويني. تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع. تحق: ياسين الأيوبي. المكتبة العصرية. صيدا، بيروت. ط 1، (1423هـ– 2002م). ص99.

[2]– صباح عبيد دراز. الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم. مطبعة الأمانة. مصر. ط1. 1986م. ص14.

النهي: النهي هو "اقتضاء كف عن فعل، فالاقتضاء جنس، و"كف" مخرج للأمر لاقتضائه غير الكف"[1]، ويطلب فيه التوقف عن الإتيان بفعل ما بالخارج، ويتألف أسلوب النهي الحقيقي من عنصريْن، وهما: العلو والاستعلاء، ولأسلوب النهي صيغة حقيقيّة واحدة ألا وهي صيغة الفعل المضارع المجزوم بلا الناهية، إلا أنّه قد يخرج إلى معانٍ بلاغيّة أخرى؛ منها ما يوضحه الجدول الآتي[2]:

الغرض البلاغي	المثال
الدعاء	﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الممتحنة: 5)
الالتماس	قول الصديق لصديقه: لا تكفّ عن طلب العلم
التمني	لا تغربي يا شمس
النصح والإرشاد	قول شوقي: لا تيأسوا أن تستردوا مجدكم فلربَّ مغلوبٍ هوى ثم ارتقى
التوبيخ	﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 42)
التحقير	قول الحطيئة: دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
التيئيس	﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (التوبة: 66)
التهديد	قول الأب لابنه: لا تكفَّ عن الكسل

الاستفهام: يُعدّ الاستفهام من الأساليب اللغوية التي يُراد بها طلب العلم بشيء مجهول في ذهن المتكلم، سواء تعلق بشخص أو بحدث أو بنسبةٍ أو بحكم من الأحكام. ويتم هذا الطلب بواسطة أدوات مخصوصة تؤدي وظيفة الاستفهام وتوجّه معنا[3]، وتنقسم أدوات الاستفهام إلى قسمين رئيسين:

أ حروف الاستفهام: وهي[4]

- **الهمزة (أ)**: تُستعمل لطلب التصديق أو التصور، فتدخل على الجملة الاسمية والفعلية.

---

[1]- الزركشي، بدر الدين محمد بهادر بن عبد الله الشافعي. البحر المحيط في أصول الفقه. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الكويت. ط2. 1992م. ص426.

[2]- ينظر: ليلى كادة. "أسلوبا الأمر والنهي في النظرية اللسانية العربية ". مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية. ع13. 20177م. ص 401- 424.

[3]- ينظر: أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. ص ص 79-80.

[4] -الأنباري، عبد الرحمان بن محمد بن عبيد الله. أسرار العربية. تحق: محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان. ط1. 1997م. ص193.

- **هل**: يُستفهم بها عن النسبة، أي عن وقوع الفعل أو عدمه، وتدخل على الجملتين الاسمية والفعلية.

ب أسماء الاستفهام: وهي أدوات يُطلب بها تعيين المجهول وتحديده، لذلك تُفيد التصور، وتستعمل مع الجمل الاسمية والفعلية، ومن أبرزها: من، ما، أين، متى، كيف، كم، أيّ، أنّى، أيّان[1]

يخرج أسلوب الاستفهام عن معانيه الأصليّة إلى معانٍ مجازيّة، يمكن التعرّف عليها من سياق الكلام، أهمها ما الآتي[2]:

الغرض البلاغي	المثال
التسوية	﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (المنافقون: 6)
النفي	﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (الرحمن: 60)
الأمر	أتصون لسانك عن الأذى
النهي	﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (الانفطار: 6)
التشويق	قال النبي ﷺ: «ألا أدلك على أبواب الخير؟«...
التعظيم	قول طرفة بن العبد: أضاعوني وأيَّ فتىً أضاعوا ليوم كريهةٍ وسدادِ ثغر
التحقير	أهذه التي مدحتها كثيرًا؟
التمني	قول عنترة بن شداد: أيدري الربع أي دم أراقا وأي قلوب هذا الركب شاقا
التعجب	﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ (النمل: 20)
التوبيخ	أتشعر بالطمأنينة من فعلتك؟

الأمر: هو "طلب الفعل بصيغة مخصوصة وله ولصيغته أسماء بحسب إضافاته، فإن كان من الأعلى إلى ما دونه قيل له أمر، وإن كان من النظير إلى النظير قيل له طلب، وإن كان من الأدنى إلى الأعلى قيل له دعاء"[3]، ولأسلوب الأمر أربع صيغ هي[4]: صيغة فعل الأمر كقول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (البقرة: 43)، وصيغة الفعل المضارع المقترن بلام الطلب: نحو

---

[1]- إبراهيم عبود السامرائي. الأساليب الإنشائية في العربية. دار المناهج للنشر والتوزيع. عمان، الأردن. ط1. 2008م. ص34.

[2] - ينظر: أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. ص 79-80.

[3]- بن يعيش. شرح المفصّل. بيروت. عالم الكتب. ج7. ص58.

[4] - ينظر: علي الجارم ومصطفى أمين. البلاغة الواضحة: البيان، المعاني، البديع. دار المعارف. دط. دت. ص179

قوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ (الطلاق: 7)، وصيغة اسم فعل الأمر: نحو: حيّ على الصلاة، وصيغة المصدر الذي ينوب عن فعل الأمر، كقول الشاعر: يا قلب صبراً لنار كوتك في الحب كيّا.

وقد يخرج فعل الأمر إلى معانٍ غير معانيه الحقيقيّة، وهذه المعاني هي[1]:

الغرض البلاغي	المثال
الدعاء	﴿قالَ رَبِّ اغفِر لي وَلِأَخي وَأَدخِلنا في رَحمَتِكَ وَأَنتَ أَرحَمُ الرّاحِمينَ﴾ (الأعراف: 151)
الإرشاد	دعْ ما يؤلمك
التهديد	﴿وَقُلِ الحَقُّ مِن رَبِّكُم فَمَن شاءَ فَليُؤمِن وَمَن شاءَ فَليَكفُر﴾ (الكهف: 29)
الالتماس	﴿فَأَوفِ لَنَا الكَيلَ وَتَصَدَّق عَلَينا إِنَّ اللَّهَ يَجزِي المُتَصَدِّقينَ﴾ (يوسف: 88)
الإكرام	﴿فَلَمّا دَخَلوا عَلى يوسُفَ آوى إِلَيهِ أَبَوَيهِ وَقالَ ادخُلوا مِصرَ إِن شاءَ اللَّهُ آمِنينَ﴾ (يوسف: 99)
التمني	لا تنته يا زمن الفرح والمسرات
التسوية	﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (الملك: 16)
التعجيز	﴿فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: 41)
الإهانة	دع النجاح لأصحابه، لا تسعَ في طلبه
التسخير	﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء: 69)
التخيير	تزوج هنداً أو أختها
التهكم	﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران: 168)
الدوام	﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ (ص: 22)

[1] – ينظر: أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي. أساليب بلاغية: الفصاحة – البلاغة – المعاني. وكالة المطبوعات. الكويت. ط1. 1980م. ص111.

النداء: هو أسلوب من الأساليب الإنشائية التي يقصد به الطلب مِنْ الآخر للانتباه والقدوم، ويتمّ ذلك باستخدام أدوات الاستفهام، التي تستخدم حسب الغرض، الذي يرغب المتكلم لفت انتباه المخاطب إليه، ومن هذه الأدوات نذكر ما يلي[1]:

– **الهمزة:** تستخدم للمنادى القريب، نحو: "أخالدٌ أغلق الباب".

– **الياء:** تستخدم للمنادى المتوسط في البعد، مثل: "يا مريم لا تسهري كثيراً"، وتستخدم أيضاً للمنادى البعيد، نحو: "يا طالبي العلم اجتهدوا".

– **أيا، هيا:** تستخدم هاتان الأداتان للمنادى البعيد، نحو: "أيا عامل في المصنع قمْ بواجبك"، و"هيا متهوراً، انتبه".

التمني: هو " طلب الشيء المحبوب، الذي لا يرجى، ولا يتوقع حصوله، ولا يشترط إمكان المتمني، بل المهم هذه الرغبة النفسية الحبيسة الحبيبة الكامنة في القلب، تنطلق في صورة المتمنّي والتّمني"[2]

لأسلوب التمني أربع أدوات، ويمكن التمثيل لها بالآتي[3]:

الأداة	الغرض	المثال
ليت	الأداة الأصلية للتمني، تفيد استحالة حصول الشيء	ألا ليت شعري، هل أبينت ليلة بوادي الغضا أزجي القلاص النواجيا؟
هل	للتمني البعيد	﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ (غافر: 11)
لو	للتمني البعيد	﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (الزمر: 57)
لعل	للتمني القريب والبعيد	لعلّ عتبك محمودٌ عواقبهوربما صحت الأجسام بالعلل

[1]– ينظر: بسيوني عبد الفتاح. علم المعاني. ص330.

[2]– صباح عبيد دراز. الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم. مطبعة الأمانة. مصر. ط1. (1406هـ– 1986م). ص282.

[3]– ينظر: حامد عونى. كتاب المنهاج الواضح للبلاغة. المكتبة الأزهرية للتراث. ص109.

2- **الأسلوب الإنشائي غير الطلبي**: الإنشاء غير الطلبي "هو ما لا يستدعي مطلوبا"[1]، وله خمسة أساليب إنشائية، تتمثل في الآتي[2]:

- **المدح والذم**: أسلوب المدح يستخدم لاستحباب الشيء، كقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ (الذاريات: 48)، والذم يستخدم لاستهجان أو استحقار الشيء ومثاله قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ﴾ (الحجرات: 11).
- **القسم**: يعتبر القسم "من أساليب التوكيد، ويتألف من: أداة القسم، والمقسم به، وجواب القسم"[3]، ويكون باستخدام إحدى أربع أدوات: الواو، التاء، الباء، اللام[4]، ومثاله قوله تعالى: ﴿لعمرك إنهم في سكرتهم يعمهون﴾ (الحجر: 72)، وقوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ (الأنبياء: 57)
- **الرجاء**: يفيد ترجّي حدوث الشيء، ويكون ممكنًا على عكس التمني، باستخدام الأفعال: عسى، حرى، اخلولق، وهي أفعال ناقصة مبنية على الفتح تأخذ اسمًا وخبرًا، مثل: قوله تعالى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ (المائدة: 52)
- **ألفاظ العقود**: هي صيغ غالبًا تكون في الماضي، وتستخدم في البيع والشراء، للعقود والرهن والديون مثل: وهبتُ مالًا، اشتريتُ بيتًا.
- **التعجب**: وهو "انفعال يحدث في النفس عند الشعور بأن يجهل سببه، والمراد بالانفعال: تأثير النفس عند الشعور بالأمر المذكور"[5]، ويكون بصيغة قياسية على وزن (ما أفْعَل)، مثل: ما أبعد العيب والنقصان عن شرفي، و(أفْعِل ب)، مثل: قوله تعالى: ﴿أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا﴾، وله صيغ غير قياسية، مثل: الاستفهام والنداء الذي يفيد التعجب، والمصدر مثل: سبحان الله.

وخلاصة القول، يتبيّن أن الأسلوب الإنشائي يشكّل أحد الركائز الأساسية في البناء البلاغي، لما يتميّز به من خصوصية دلالية ووظيفية تجعله متجاوزًا لمجرّد نقل المعاني إلى مستوى إحداثها وإنشائها

---

[1] - السامرائي، فاضل صالح. الجملة العربية، تأليفها وأقسامها. دار الفكر. الأردن. ط2. (1427هـ- 2007م). ص170.

[2]- ينظر: أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة. ص69، وينظر: الخطيب القزويني. الإيضاح في علوم البلاغة. ص108.

[3]- عبد الله محمد النقراط. الشامل في اللغة العربية. ص118.

[4] ينظر: محمد أسعد النادري. نحو اللغة العربية. المكتبة العصرية. صيدا، بيروت. ط2. 1997م. ص895.

[5]- عبد الله بن صالح الفوزان. تعجيل الندى بشرح قطر الندى. دار ابن الجوزي. ص323.

في سياق الخطاب. فهو، بخلاف الأسلوب الخبري، لا يرتبط بعلاقة المطابقة مع الواقع، بل يقوم على إنتاج دلالة جديدة لحظة التلفّظ، وهو ما يمنحه طابعًا تداوليًا يتصل بالفعل التأثيري للغة في المتلقي.

وقد أظهر تحليل أقسامه، بنوعيه الطلبي وغير الطلبي، أن هذا الأسلوب يتّسم بتنوّع صِيَغه وغنى وظائفه، إذ يتراوح بين طلب الفعل أو الكفّ عنه، وبين التعبير عن مواقف نفسية وانفعالية كالتعجب، والمدح، والذم، والقسم، والترجّي. كما كشفت دراسة أضربه عن مرونة الخطاب العربي وقدرته على توجيه المعنى بحسب مقتضيات الحال، بحيث لا تُفهم صيغ الإنشاء في معناها الظاهري فحسب، بل في ما تنطوي عليه من دلالات سياقية تتحدّد بقرائن المقام وأحوال المخاطَبين.

ومن ثمّ، فإنّ الأسلوب الإنشائي لا يُعدّ مجرد تنويع شكلي في التعبير، بل هو أداة بلاغية فعّالة تُسهم في بناء المعنى وتوجيهه، وفي تحقيق أغراض تواصلية وحجاجية تتجاوز حدود الإبلاغ إلى التأثير والإقناع. وهو ما يؤكد أن البلاغة العربية، في جوهرها، علمٌ يُعنى بكيفية استعمال اللغة في سياقها، وبقدرتها على التكيّف مع مختلف المقامات، بما يحقّق التلاؤم بين البنية اللغوية ووظائفها الدلالية.

وعليه، فإنّ الإلمام بخصائص الأسلوب الإنشائي وأضربه يُمثّل خطوةً أساسية في تكوين الملكة البلاغية لدى الدارس، ويُعينه على إدراك أسرار التعبير العربي، والتمييز بين مقاصد الخطاب، بما يفتح أمامه آفاقًا أوسع لفهم النصوص وتحليلها في ضوء تداخل مستوياتها اللغوية والتداولية.

❖ **التطبيق الأول:**

1. يقول تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ (إبراهيم: 41)
2. يقول تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾ (الإسراء: 32)
3. يقول تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (الرحمن: 60)
4. يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ (البقرة: 278)

المطلوب:

1 املأ الجدول:

الآية	نوع الأسلوب	الصيغة

2 هل استُعملت الأساليب على معناها الحقيقي؟

3 حدّد مثالًا خرج فيه الأسلوب عن معناه الأصلي، وبيّن نوعه.

❖ **التطبيق الثاني:**

1. ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ (الأنبياء: 57)
2. ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: 30)
3. ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ (المائدة: 52)
4. ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ (مريم: 38)

المطلوب:

1 املأ الجدول:

الآية	نوع الأسلوب (قسم/مدح/رجاء/تعجب...)

المحاضرة الخامسة: التقديم والتأخير

تُبنى الجملة العربية على نظام تركيبي دقيق، تنتظم فيه الوحدات اللغوية وفق علاقات نحوية ودلالية محددة، تقتضي تقديم بعض العناصر وتأخير أخرى بحسب ما استقرّ عليه الاستعمال اللغوي. إلاّ أنّ هذا الترتيب لا يُفهم على أنه مجرد نظام شكلي جامد، بل هو نظام مرن يخضع لمقتضيات المعنى والسياق.

ومن ثمّ، لا يكون تقديم جزء من الكلام أو تأخيره أمرًا اعتباطيًا، وإنما يندرج ضمن اختيار أسلوبي واعٍ، يهدف إلى تحقيق أغراض بلاغية محددة، أو الاستجابة لدواعٍ تواصلية يفرضها المقام. فقد يُقدَّم ما حقّه التأخير لغرض التخصيص أو الاهتمام أو التقوية، كما قد يُؤخَّر ما حقّه التقديم لاعتبارات تتصل بالانسجام أو التدرج في عرض المعنى.

وانطلاقًا من ذلك، فإن فهم هذه الظاهرة لا يكتمل دون الوقوف على مفهومها أولًا، قبل الانتقال إلى بيان دوافعها البلاغية ووظائفها في الخطاب.

أولا– التقديم والتأخير:

وللوقوف على حقيقة التقديم والتأخير في الدرس البلاغي، يقتضي الأمر استجلاء مفهومهما من الناحيتين: اللغوية والاصطلاحية، لما لذلك من أهمية في بناء تصور دقيق لهذه الظاهرة الأسلوبية.

1– التقديم والتأخير في اللغة:

يرتبط مفهوم التقديم في الاستعمال اللغوي بأصل دلالي يفيد السبق والتقدّم والصدارة، وهو مشتق من الجذر الثلاثي (ق–د–م)، الذي يدل في معاجم العربية على التقدّم في المكان أو الرتبة أو الزمان. فقد بيّن الفراهيدي أن "القُدْمة" و"القَدَم" تدلان على السبق في الأمر، ومنه قوله تعالى: ﴿لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾، أي سابقة خير ومنزلة متقدمة[1]. كما يُستعمل الفعل "قَدُم" للدلالة على التقدّم، فيقال: "قَدَمَ فلان قومه"، أي تقدّمهم وكان في طليعتهم.

أما التأخير، فيقابل التقديم من حيث الدلالة، وهو مشتق من الجذر (أ–خ–ر)، الذي يفيد التراخي والتأخر والوقوع في المرتبة اللاحقة. فقد ورد في المعاجم أن التأخير ضد التقديم، وأن مؤخر

[1]– الفراهيدي، الخليل بن أحمد. العين. تحق: عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان. ط 1. (1424هـ – 2003 م). مادة (قدم). ج3. ص 366.

الشيء هو ما يقع بعد غيره ويخالف متقدّمه، حيث ذهب الراغب الأصفهاني إلى أن "الآخر" يقابل "الأول"، وأن التأخير يفيد الانتقال إلى مرتبة تالية في الزمان أو الرتبة أو الوجود[1].

وعلى هذا الأساس، يتضح أن التقديم والتأخير – من الناحية اللغوية – يقومان على ثنائية التقابل بين الصدارة والتأخر، أو بين الموقع الأول والموقع اللاحق، وهي دلالة ستُبنى عليها لاحقًا المفاهيم الاصطلاحية في الدرس البلاغي.

2- التقديم والتأخير في الاصطلاح:

يُعدّ التقديم والتأخير من أبرز الظواهر الأسلوبية في الدرس البلاغي، لما ينطوي عليه من طاقة تعبيرية تُمكّن المتكلم من إعادة تشكيل البنية التركيبية للجملة بما يحقق أغراضًا دلالية مخصوصة. ولا يُنظر إليه على أنه مجرد تغيير شكلي في ترتيب الألفاظ، بل هو عدول مقصود عن الأصل التركيبي، تحكمه اعتبارات بلاغية وسياقية دقيقة، حيث يقول (عبدُ القاهِرِ الجرجاني): "هو بابٌ كَثيرُ الفَوائِدِ، جَمُّ المحاسِنِ، واسِعُ التَّصرُّفِ، بَعيدُ الغايَةِ، لا يَزالُ يَفْتَرُّ لك عن بَديعَةٍ، ويُفْضي بكَ إلى لَطيفَةٍ، ولا تَزالُ تَرى شِعرًا يَرُوقُك مَسْمَعُه، ويَلطُفُ لديك موقِعُه، ثمَّ تَنظرُ فتَجِدُ سَببَ أنْ راقَك ولطُفَ عندَك؛ أنْ قُدِّم فيه شيءٌ، وحُوِّل اللَّفظُ عن مَكانٍ إلى مَكانٍ"[2]،ممّا يبيّن أنّ عبد القاهر الجرجاني عدّ هذه الظاهرة بابًا واسعًا من أبواب البلاغة، تتعدد فيه وجوه الحسن وتتنوع دلالاته، حيث يرتبط جمال التعبير – في كثير من الأحيان – بتحويل اللفظ عن موضعه الأصلي، وتقديمه أو تأخيره بما يحقق أثرًا خاصًا في نفس المتلقي.

وفي هذا الإطار، عُرّف التقديم والتأخير بأنه تغيير في بنية التراكيب الأساسية، يُفضي إلى منح التعبير قدرًا من المرونة والانسياب، دون أن يكون ذلك خروجًا مطلقًا عن القواعد، بل هو تحرّك داخل حدود النظام اللغوي[3]، ومن جهة أخرى، يقوم التمييز بين التقديم والتأخير على أساس العلاقة بين الرتبة الأصلية والرتبة الطارئة؛ فالتقديم هو جعل ما حقه التأخير متقدمًا في السياق، أما التأخير فهو إبقاء ما حقه التقدم في مرتبة لاحقة[4]، وهو ما يبرز الطابع النسبي لهاتين الظاهرتين داخل البنية التركيبية.

---

[1]- الراغب الأصفهاني. مفردات ألفاظ القرآن الكريم. تحق: صفوان عدنان الداودي. دار القلم. دمشق، بيروت. ط1. 1412هـ. ص 23.

[2] - عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. تحق: محمود محمد شاكر أبو فهر. مطبعة المدني. القاهرة. ط3. (1413هـ- 1992م). ص106.

[3]- أحمد مطلوب. بحوث بلاغية. ط1. دار الفكر للنشر والتوزيع. 1987م. ص 41.

[4]- عز الدين علي السيد. الحديث النبوي من الوجهة البلاغية. دار الطباعة المحمدية الأزهرية. 1973م.

ومن ثمّ، فإن التقديم والتأخير لا يُفهمان إلا في ضوء علاقتهما بالمعنى، وبما يُحدثانه من دقة في التصوير، وعمق في التأثير.

ثانيا– الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير في الإنتاج اللغوي:

تتعدد الأغراض البلاغية والدواعي التواصلية التي تبرّر ظاهرة التقديم والتأخير في الخطاب اللغوي، إذ لا يقتصر استعمالها على الجانب التركيبي، بل يتجاوز ذلك إلى أداء وظائف دلالية وتعبيرية ترتبط بمقتضى الحال واختلاف المقامات. ومن ثمّ، فإن هذا العدول عن الترتيب الأصلي للكلام إنما يُقصد به تحقيق أثر بلاغي مخصوص، يتلاءم مع سياق الخطاب وغاية المتكلم.

وفي ضوء ذلك، يمكن حصر أبرز هذه الأغراض في الآتي[1]:

1 تقوية الحكم وتقريره: مثل م: **(هو يعطي الجزيل)**، فأنت لا تريد أن غيره لا يعطي الجزيل، ولا أن تقارنه بإنسان آخر يعطي القليل، ولكن تريد أن تقرر في ذهن السامع، وتحقق أنه يفعل إعطاء الجزيل، فتقديم المسند إليه (هو)، وتكريره في الضمير المستتر في (يعطي) أدى إلى تقوية الحكم وتقريره.

2– كون المتقدم محط الإنكار والتعجب: مثل قول الله تعالى: ﴿أَراغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يا إِبْراهِيمُ﴾، فإنما قدم خبر المبتدأ عليه في قوله: أَراغِبٌ أَنْتَ، ولم يقل: «أأنت راغب»؛ وذلك لأهمية المتقدم، وشدة العناية به، وفي ذلك ضرب من التعجب والإنكار؛ لرغبة إبراهيم عن آلهته، وأن آلهته لا ينبغي أن يرغب عنها، وهذا بخلاف ما لو قال: «أأنت راغب عن آلهتي؟».

3– التشويق إلى المتأخر إذا كان المتقدم مشعرا بغرابة: مثل قول الشاعر:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحا وأبو إسحق والقمر

فهنا قَدَّم الشاعر المسند إليه وهو «ثلاثة»، واتصف بصفة غريبة؛ تشوق النفس إلى الخبر المتأخر، وهي «تشرق الدنيا ببهجتها»؛ فإشراق الدنيا أمر يشوق النفس إلى أن تعرف هذه الأشياء الثلاثة، التي جعلت الدنيا بحسنها تتألق وتضيء، فإذا عرفت النفس ذلك؛ تمكن الخبر المتأخر فيها واستقر.

4– تعجيل المسرة أو المساءة للتفاؤل أو التطيُّر: فالتعجيل بالمسرة، نحو: (الجائزة الأولى في المسابقة كانت من نصيبك)، والتعجيل بالمساءة، نحو: (الفشل أصيب به العدو، والخسائر في جيشه كبيرة، ونيران الأسلحة المختلفة تطارد فلوله في كل مكان).

5– التخصيص: يعني أن المسند إليه قد يُقدَّم ليفيد تخصيصه بالخبر، مثل قول الشاعر:

---

[1]– ينظر: عبد العزيز عتيق. علم المعاني. ص136.

وما أنا أسقمت جسمي بهولا أنا أضرمت في القلب نارا

فسقم الجسم بالحب، وإضرام النار في القلب، كلاهما ثابت موجود، ولكن قصرهما وتخصيصهما بالمسند إليه المتقدم «أنا»، قصد به نفي كون المتكلم هو السبب في سقم جسمه، وإضرام النار في قلبه، وإثبات السبب لغيره.

6- النص على عموم السلب أو سلب العموم: النص على عموم السلب يعني شمول النفي لكل فرد من أفراد المسند إليه، ويكون عادة بتقديم أداة من أدوات العموم على أداة نفي نحو: (**كل قوي لا يهزم**)، ففي هذا المثال أداة عموم هي «كل»، مقدَّمة على أداة النفي، والكلام هنا يُفيد شمول السلب، أو النفي لكل فرد من أفراد المسند إليه المتقدَّم؛ إذ المعنى: «لا يهزم أحد أو أي فرد من الأقوياء»، والسبب في إفادة الكلام شمول النفي هنا، أن أداة العموم بهذا الوضع تكون المتسلطة على النفي، العاملة فيه بكليتها؛ وذلك يقتضي عموم النفي وشموله.

والنص على سلب العموم يكون عادة بتأخير أداة العموم عن أداة النفي، والنفي في سلب العموم أو نفي الشمول ليس عاما شاملا لكل الأفراد، بل يُفيد ثبوت الحكم لبعض الأفراد، ونفيه عن البعض الآخر، يقول المتنبي:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن

فالمعنى هنا: أن الإنسان لا يدرك كل أمانيه، وإنما هو يدرك بعضها ويفوته بعضها الآخر.

وخلاصة القول، يتبيّن أن ظاهرة التقديم والتأخير تمثّل أحد أبرز مظاهر المرونة في النظام التركيبي للغة العربية، إذ تكشف عن قدرة التعبير العربي على تجاوز الترتيب المألوف للألفاظ، دون الإخلال بالبنية النحوية، تحقيقًا لأغراض دلالية وبلاغية دقيقة. ومن ثمّ، فإن هذه الظاهرة لا تُفهم بوصفها مجرد تحوّل شكلي في مواقع الكلمات، بل باعتبارها اختيارًا أسلوبيًا واعيًا، يتأسّس على إدراك عميق للعلاقة بين البنية اللغوية ومقتضيات السياق.

وقد أظهر تحليل مفهوم التقديم والتأخير، في مستوييه اللغوي والاصطلاحي، أن هذه الظاهرة تقوم على ثنائية التقدّم والتأخّر بوصفهما آليتين لإعادة توزيع العناصر داخل الجملة، بما يتيح إبراز بعض المعاني أو تقويتها أو تخصيصها. كما كشفت دراسة أغراضها البلاغية عن تنوّع وظائفها، بين تقوية الحكم، والتخصيص، والتشويق، والتعجيل بالمسرة أو المساءة، فضلًا عن توجيه الدلالة نحو عموم السلب أو سلب العموم، وهو ما يعكس ثراء الخطاب العربي وقدرته على التكيّف مع اختلاف المقامات.

ويؤكد هذا كلّه أن جمال التعبير العربي لا يكمن في الألفاظ ذاتها، بل في طرائق انتظامها داخل التركيب، وفي الكيفية التي يُعاد بها توزيعها وفق مقتضى الحال، بما يُحدث أثرًا خاصًا في نفس المتلقي. وهو ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني حين جعل سرّ البلاغة قائمًا على النظم، أي على العلاقات التي تربط بين أجزاء الكلام، لا على مفرداته المفردة.

وعليه، فإن إدراك ظاهرة التقديم والتأخير يُمثّل مدخلًا أساسيًا لفهم أسرار النظم العربي، ويُسهم في تنمية القدرة على تحليل النصوص البلاغية واستكشاف وجوه الإعجاز فيها، بما يُمكّن الدارس من الانتقال من مستوى التلقي إلى مستوى الفهم العميق القائم على استحضار وظائف البنية اللغوية في سياقها التداولي.

❖ **التطبيق الأول:**

1. ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (آل عمران: 189)
2. ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ (البقرة: 10)
3. ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ (الفاتحة: 5)
4. ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ (البقرة: 36)

المطلوب:

1 املأ الجدول:

الآية	العنصر المقدَّم	العنصر المؤخَّر	الرتبة الأصلية

2 لماذا لا يُعدّ التقديم والتأخير مجرد تغيير شكلي؟ وما علاقته بالمعنى والسياق؟

❖ **التطبيق الثاني:**

1. ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: 5)
2. ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي﴾ (مريم: 46)

المطلوب:

1 املأ الجدول:

الآية	الغرض البلاغي من التقديم والتأخير

2 حدّد نوع القصر إن وُجد.

3 بيّن كيف أثّر التقديم في: تقوية المعنى أو تخصيصه

المحاضرة السادسة: الفصل والوصل

يُعدّ الفصل والوصل من أدقّ مباحث علم المعاني، وأكثرها اتصالًا بجوهر البلاغة، لما لهما من أثر بالغ في تنظيم الخطاب، وضبط العلاقات بين الجمل، بما يحقق الانسجام الدلالي والتماسك التركيبي. وقد حظي هذا المبحث بعناية فائقة لدى البلاغيين قديمًا وحديثًا، نظرًا لدوره في توجيه المعنى، وتحديد كيفية انتقال الفكر داخل النص، فالبلاغة لا تقوم على حسن اختيار الألفاظ فحسب، بل على كيفية تنظيمها وربطها في سياق يحقق الانسجام والتأثير. ومن ثمّ، فإن دراسة الفصل والوصل تمثل مدخلًا أساسيًا لفهم طبيعة العلاقات بين الجمل، وأثرها في بناء المعنى.

وانطلاقًا من ذلك، يقتضي النظر في هذا المبحث الوقوف على مفهوم الفصل والوصل، وبيان حدودهما، قبل الانتقال إلى دراسة مواضعهما وأغراضهما في الاستعمال البلاغي.

أولا– تعريف الوصل والفصل:

وللوقوف على حقيقة الفصل والوصل، يقتضي الأمر استجلاء مفهومهما من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، تمهيدًا لفهم وظائفهما البلاغية في تنظيم الخطاب.

1– تعريف الوصل والفصل في اللغة:

جاء في (لسان العرب) لابن منظور، في مادة (وَصَلَ) أنَّ: "وَصَلْتُ الشَّيْءَ وَصْلا وَصِلَةً، والوَصْلُ ضِدُّ الهِجْران، وَصَلَ الشَّيْءَ بالشَّيْءِ يَصِلُهُ وَصْلا وَصِلَةً، واتَّصَلَ الشَّيْءُ بالشَّيْءِ: لم يَنْقَطِعْ، وفي التنزيلِ العزيزِ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص: 51)؛ أي وصلنا ذكر الأنبياء وأقاصيص من مضى بعضها ببعض لعلهم يعتبرون"[1]

في حين ورد في مادة (فَصَلَ) أنَّ "الفَصْلُ: الحاجِزُ بين الشَّيْئَيْنِ، فَصَلَ بينهما يَفْصِلُ فَصْلا فانْفَصَلَ فَصْلا، وفَصَلْتُ الشَّيْءَ فانْفَصَلَ؛ أَيْ قَطَعْتُهُ فانْقَطَعَ، والفَصْلُ القَضاءُ بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ، وفي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين﴾؛ أي هذا يومٌ يفصل فيه بين المحسن والمسيء، ويجازى كل بعمله، وبما يتفضل الله به على عبده المسلم"[2]

---

[1]– ابن منظور. لسان العرب. تحق: عامر أحمد حيدر. راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم. بيروت، لبنان. دار الكتب العلمية. 2003م. ج11. مادة (وصل). ص726.

[2]– نفسه. ج33. ص103.

ومن خلال ما تقدّم من تعريفات لغوية، يتبيّن أن الوصل يدلّ على الاتصال والضمّ بين الشيئين من غير انقطاع، في حين يُفيد الفصل معنى التمييز والفصل بينهما بإقامة حدّ فاصل أو حاجز.

2- تعريف الوصل والفصل في الاصطلاح:

تُعدّ مسألة الفصل والوصل من أدقّ القضايا في علم المعاني، لما لها من أثر بالغ في إحكام بناء الخطاب، وتحقيق التماسك بين جمله، وضبط العلاقات الدلالية بينها. ولا تقف أهميتها عند حدود الربط أو القطع الشكلي، بل تتجاوز ذلك إلى توجيه المعنى وتنظيم تدفّقه داخل النص.

وفي هذا السياق، ذهب بعض البلاغيين إلى أن الفصل والوصل يقومان على معرفة مواضع العطف والاستئناف، والقدرة على توظيف أدوات الربط أو الاستغناء عنها بحسب مقتضى الحال، وهو ما يكشف عن طبيعتهما البلاغية التي تتجاوز الجانب النحوي إلى البعد التداولي[2]. كما أشار عبد القاهر الجرجاني إلى أن الوصل يتحقق بعطف جملة على أخرى، في حين يكون الفصل بترك هذا العطف[1]، وهو تعريف يبرز الأساس التركيبي لهذه الظاهرة.

وعلى هذا الأساس، يمكن تحديد الوصل بأنه ربط جملة بأخرى بواسطة حرف العطف، في مقابل الفصل الذي يتمثل في ترك هذا الربط، والإتيان بالجمل مستقلة متتابعة، يُستأنف بعضها بعد بعض، وفق ما يقتضيه السياق. ولا يتحقق هذا التمييز — في الدرس البلاغي — إلا من خلال حرف العطف "الواو" خاصة، لما تتميز به من دلالة على مطلق الجمع دون إفادة معانٍ زائدة، بخلاف سائر حروف العطف التي تقترن بدلالات إضافية، كالتعقيب في "الفاء" أو التراخي في "ثم"[2]

ومن هنا، اكتسبت "الواو" مكانة محورية في هذا الباب، إذ تتيح للمتكلم مساحة أوسع للاختيار بين الربط والفصل، الأمر الذي يتطلب دقة في التقدير وحسنًا في إدراك مقتضيات المقام، وهو ما يستدعي مهارة خاصة في بناء الخطاب.

ومن ثمّ، فإن الفصل والوصل يمثلان آليتين أساسيتين في تنظيم البنية النصية، لا من حيث الشكل فحسب، بل من حيث الدلالة والتأثير.

---

[1]- ينظر: الجرجاني. الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة. دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان. ط1. (1423هـ- 2000م)

[2]- صابر جويلى. علم المعاني، مقدمة ضرورية. دار المعرفة الجامعية. لبنان. ص73.

ثانيا– مواضع الفصل والوصل:

تُعدّ ظاهرتا الفصل والوصل من السمات الأساسية التي تميّز البنية التعبيرية في اللغة العربية، إذ بهما يتحقق الربط بين الجمل أو الفصل بينها على نحو يضمن انسجام المعنى واستقامته. ولا يقتصر دورهما على الجانب التركيبي، بل يمتدّ إلى توجيه الدلالة وتنظيم العلاقات بين أجزاء الخطاب.

ومن ثمّ، فإن إحكام استعمالهما يقتضي من المتكلم معرفة مواضعهما وضوابطهما، لما لذلك من أثر في سلامة التعبير ودقته. ويمكن إجمال أهم هذه المواضع فيما يأتي:

1– مواضع الفصل:

يختص الفصل بإسقاط الربط بالواو بين الجمل، وضبط " الفصل" بخمسة مواضع، ذكرها أهل الاختصاص في الآتي:

– الموضع الأول: وهو ما يُسمى ب «كمال الاتصال»، أين يكون بين الجملتين اتحاد تام، وامتزاج معنوي؛ بحيث تنزل الثانية من الأولى منزلة نفسها، ويتجلى هذا في المواضع الآتية[1]:

(أ): أن تكون الجملة الثانية مؤكدة للجملة الأولى، توكيدًا لفظيًّا أو معنويًّا، ومثاله:

قوله عز وجل: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ (الطارق: 17)، فجملة "مهل" استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب، أمّا جملة "أمهلهم" تأكيد لجملة "مَهِّلْ"، وعليه تنزلت الجملة الثانية من الأولى منزلة التأكيد من متبوعه في اتحاد المعنى.

(ب): أن تكون الجملة الثانية بمنزلة البدل من الجملة الأولى، نحو قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ (الشعراء: 132)، فالجملة الثانية: (أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ) وردت بدلا للجملة الأولى (وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ)، ولهذا وجب الفصل؛ لاتحادهما في المعنى.[2]

(ج): أن تكون الجملة الثانية بيانًا لإبهام في الجملة الأولى، كقوله سبحانه وتعالى ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ (طه: 120)، فجملة «قال يا آدم» بيان لما وسوس به الشيطان إليه.

---

[1]– الخطيب القزويني. الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع. تح: إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان. ط1. (1424هـ– 2003م). ص ص121، 122.

[2] أحمد مطلوب وكامل البصير. البلاغة والتطبيق. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. العراق. ط2. (1999م– 1420هـ). ص156.

– **الموضع الثاني**: وهو ما يُسمى بكمال الانقطاع، ويتجلى في الآتي:

(أ) أن يختلفا خبرًا وإنشاءً، لفظًا ومعنًى، أو معنًى فقط، نحو: «حضر الأمير حفظه الله».

(ب) ألا تكون بين الجملتين مناسبة في المعنى ولا ارتباط، بل كل منهما مستقل بنفسه، كقولك: «عليٌّ كاتب – الحمام طائر»؛ فإنه لا مناسبة بين كتابة علي وطيران الحمام.

– **الموضع الثالث**: أو ما يُسمى بشبه كمال الاتصال، وهو كون الجملة الثانية قوية الارتباط بالأولى؛ لوقوعها جوابًا عن سؤال يُفهم من الجملة الأولى، فتُفصل عنها كما يُفصل الجواب عن السؤال[1]، ومثاله:

قوله عزَّ وجل ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ (الذاريات: 28)، ففي هذه الآية الكريمة فصلت جملة: (قالوا لا تخف) عن (أوجس منهم خيفة)؛ لأن بينهما شبه كمال الاتصال، إذْ الثانية جواب لسؤال يفهم من الأولى، كأن سائلا سأل: فماذا قالوا له حين رأوه قد أحس منهم خوفا؟ فأجيب: (قالوا لا تخف)

– **الموضع الرابع**: أو ما يُسمى بشبه كمال الانقطاع، وهو أن يكون بين الجملة الأولى والثانية «جملة أخرى ثالثة متوسطة» حائلة بينهما، فلو عُطفت الثالثة على «الأولى المناسبة لها»؛ لتُوهِّم أنها معطوفة على «المتوسطة»، فيُترك العطف، نحو:

وتظن سلمى أنني أبغي بها بدلًا أراها في الضلال تهيم

فجملة «أراها» يصح عطفها على جملة «تظن»، لكن يمنع من هذا توهم العطف على جملة «أبغي بها» فتكون الجملة الثالثة من مظنونات سلمى، مع أنه غير المقصود؛ ولهذا امتنع العطف بتاتًا «ووجب أيضًا الفصل». فيصبح المعنى: (وتظن سلمى أنني أبغي بها، وتظن أيضاً أنني أظنها تهيم في الضلال)، وليس هذا مراد الشاعر، لذلك وجب الفصل

– **الموضع الخامس**: ويُسمى بالتوسط بين الكمالين، وهو أن يكون بين الجملتين تناسب وارتباط، لكن يمنع من عطفهما مانع، وهو عدم قصد اشتراكهما في الحكم، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ (البقرة: 14)

فجملة «يستهزئ بهم» لا يصح عطفها على جملة «إنَّا معكم» لاقتضائه أنه من مقول المنافقين، والحال أنه من مقوله تعالى «دعاء عليهم» ولا على جملة «قالوا»؛ لئلا يتوهم مشاركته له في التقييد

[1] – عبد العزيز عتيق. علم المعاني. ص 164، 165.

بالظرف، وأنَّ استهزاء الله بهم مقيد بحال خلوهم إلى شياطينهم، والواقع أن استهزاء الله بالمنافقين غير مقيد بحال من الأحوال؛ ولهذا «وجب أيضًا الفصل»[1].

2- مواضع الوصل:

يتمثل الوصل في عطف جملة على أخرى «بالواو»، له مواضع خاصة؛ إذْ يقع في ثلاث حالات، حددها الدارسون كالآتي:

الأول: إذا اتفقت الجملتان في الخبرية والإنشائية، لفظًا ومعنًى، أو معنًى فقط، وكانت بينهما مناسبة تامة، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما[2]، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ وصل جملة «إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ» بجملة «إِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ» لاتحادهما في الخبرية، ولأنه يخبر بحال الأبرار والفجار.

ومثال الإنشائيتين قوله تعالى: ﴿فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ وصل جملة «ادْعُ» بجملة «اسْتَقِمْ» لاتحادهما في الإنشائية، ولأن المطلوب بهما مما يجب على الإنسان أن يؤديه لخالقه، ويختصه به.

ومثال المختلفتين قوله سبحانه: ﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾؛ أي: إني أشهد الله وأشهدكم أنتم كذلك، فتكون الجملة الثانية في هذه الآية ﴿اشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ إنشائية لفظًا، ولكنها خبرية في المعنى، أما الجملة الأولى ﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ﴾ خبرية لفظا ومعنى.

الثاني: دفع اللبس، وتوهُّم غير المراد؛ وذلك إذا اختلفت الجملتان في الخبرية والإنشائية، وكان الفصل يُوهِم خلاف المقصود، ومثاله أن تقول مجيبًا لشخص بالنفي: «لا، شفاه الله» لمن يسألك: هل شفي أحمد من المرض؟ فترك الواو يُوهم السامع الدعاء عليه، وهو خلاف المقصود؛ لأن الغرض الدعاء له لا عليه، ولهذا وجب الوصل لتفادي لبس المعنى المقصود.

الثالث: إذا قصد اشتراك جملتين في الحكم الإعرابي[3]:

ومن ذلك قول البحتري في مدح المتوكل:

الله مكّن للخليفة جعفر ملكا بحسنها لخليفة جعفر

---

[1] الخطيب القزويني. الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع. ص 122.

[2] ينظر: منير محمد الرحام، الشيخ ابن عثيمين، جهوده وآراؤه في علوم البلاغة. دار ابن حزم. بيروت، لبنان. ط1. (1434هـ- 2013م). ص272.

[3]- يوسف أبو العدوس. مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني، علم البيان، علم البديع. دار المسيرة. ط2. (2010م- 1430هـ). ص 120.

نعمة من الله اصطفاه بفضلها والله يرزق من يشاء ويقدر

فقد وصل في الشطر الأخير ما بين جملتي: (يرزق من يشاء) و(يقدر) لاشتراكهما في إعراب واحد؛ إذْ كل منهما خبر لمبتدأ واحد هو الله تعالى.

وخلاصة القول، يتبيّن أن الفصل والوصل ليسا مجرد ظاهرتين تركيبيتين تتعلّقان بعطف الجمل أو فصلها، بل هما من أدقّ الآليات التي يقوم عليها بناء النظم في الخطاب العربي، لما لهما من أثر بالغ في توجيه العلاقات الدلالية، وضبط تماسك النص، وتنظيم تدفّق المعنى بين أجزائه. ومن ثمّ، فإنّ الإحسان في استعمالهما يُعدّ مظهرًا من مظاهر الوعي البلاغي العميق، الذي يتجاوز حدود القاعدة النحوية إلى إدراك مقتضيات السياق وأحوال المخاطَبين.

وقد أظهر تحليل مواضع الفصل والوصل أن الاختيار بينهما لا يقوم على معيار شكلي، بل على تقدير دقيق لطبيعة العلاقة بين الجمل، من حيث الاتصال والانقطاع، أو كمال الارتباط وضعفه، وهو ما عبّر عنه البلاغيون بمفاهيم كـ«كمال الاتصال» و«كمال الانقطاع» وما يتفرّع عنهما من حالات وسطى. كما يتبيّن أن هذا الاختيار يندرج ضمن استراتيجية بلاغية واعية، تُسهم في تحقيق الانسجام النصي، وتوجيه القراءة نحو المعنى المقصود دون لبس أو اضطراب.

وإذا كان عبد القاهر الجرجاني قد أقام نظريته في النظم على أساس العلاقات بين أجزاء الكلام، فإنّ الفصل والوصل يُجسّدان هذا المبدأ في أوضح صوره، إذ بهما تتحدد كيفية اتصال المعاني وتتابعها، أو انفصالها واستقلالها، بما ينعكس مباشرة على أثر الخطاب في نفس المتلقي. ومن ثمّ، فإنّ البلاغة لا تتحقق بحسن اختيار المفردات فحسب، بل بحسن ترتيبها وربطها، وفق ما يقتضيه المقام.

وعليه، فإنّ الإلمام بظاهرة الفصل والوصل يُمثّل خطوة متقدمة في فهم أسرار البيان العربي، ويُسهم في تنمية القدرة على تحليل النصوص واستكشاف بنياتها العميقة، بما يمكّن الدارس من إدراك أن جمال التعبير إنما يكمن في نظام العلاقات، لا في العناصر المفردة، وهو ما يؤكد الطابع الوظيفي والتداولي للبلاغة العربية في أرقى تجلياتها.

❖ التطبيق الأول:

1. يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ (الانفطار: 13–14)
2. يقول تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ (الطارق: 17)
3. يقول تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ (الذاريات: 28)

المطلوب:

1 املأ الجدول:

الآية	فصل / وصل	المصوغ

❖ **التطبيق الثاني:**

1. يقول تعالى: ﴿فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ (الشورى: 15)
2. يقول تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ (يوسف: 53)
3. يقول تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ... اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ (البقرة: 14)

المطلوب:

املأ الجدول:

الآية	المصوغ

المحاضرة السابعة: الحقيقة والمجاز

يُعدّ مبحث الحقيقة والمجاز من المحاور المركزية في علم البيان، لما له من دور أساس في الكشف عن طرائق التعبير المختلفة، التي يُؤدَّى بها المعنى الواحد في صور متعددة، تتفاوت في درجات الوضوح والقوة التأثيرية. ويقوم هذا العلم – في جوهره – على تمكين المتكلم من اختيار الأسلوب الأنسب لمقتضى الحال، بما يحقق الدقة في الدلالة، والانسجام في التعبير.

وقد عرّف السكاكي علم البيان بأنه معرفة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، مع مراعاة ما يطرأ على هذه الطرق من زيادة في وضوح الدلالة أو نقصانه[1]، وهو تعريف يُبرز الطابع الوظيفي لهذا العلم، إذ لا يقتصر على التنويع الشكلي، بل يتجه إلى تحقيق مطابقة الكلام لتمام المراد. ومن ثمّ، فإن المقصود باختلاف الطرق هو خضوع التعبير لجملة من القواعد والضوابط، التي تضبط أساليب البيان، كالتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية.

ولا يُراد بالمعنى الواحد مجرد اللفظ المفرد أو الترادف اللغوي، إذ إن ذلك من شأن المعجم اللغوي، لا من مباحث البيان، بل المقصود به المعنى الكلي الذي يُعبّر عنه المتكلم في سياق تام، كالشجاعة أو الكرم أو غيرهما من المعاني التي يمكن تصويرها بوسائل متعددة. كما أن اختلاف درجات الوضوح في التعبير لا يعني الانتقال إلى الغموض المعيب، وإنما يُقصد به التنويع في قوة الدلالة وعمقها، بحيث يظل المعنى مفهومًا، مع إمكان التفاوت في دقة أدائه.

وعلى هذا الأساس، يتأسس مبحث الحقيقة والمجاز بوصفه أحد أهم ميادين هذا التنوع التعبيري، إذ يعالج طبيعة العلاقة بين اللفظ والمعنى، من حيث دلالته الأصلية أو انتقاله إلى معنى آخر لاعتبارات بلاغية. ومن ثمّ، يقتضي هذا المبحث الوقوف على مفهوم الحقيقة والمجاز، وبيان الفروق بينهما، وأثرهما في توجيه الدلالة داخل الخطاب.

أولا: الحقيقة:

تُعدّ الحقيقة من المفاهيم الأساسية في مبحث الدلالة ضمن علم البيان، إذ تقوم على العلاقة الأصلية بين اللفظ والمعنى، من حيث استعمال اللفظ فيما وُضع له أولًا في أصل اللغة. ومن ثمّ، فإن تحديد مفهومها لا يقتصر على هذا المعنى العام، بل يستدعي الوقوف على حدودها وضوابطها التي تضبط مجال استعمالها، وتميّزها عن غيرها من أنماط التعبير.

---

[1] السكاكي. مفتاح العلوم. تحق: نعيم زرزور. دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان. ط2. (1407هـ- 1987م). ص70.

1-**تعريف الحقيقة:** وللوقوف على مفهوم الحقيقة في الدرس البلاغي، يقتضي الأمر استجلاء معناها من الناحيتين: اللغوية والاصطلاحية، تمهيدًا لضبط حدودها وتمييزها عن المجاز.

أ- في اللغة: يقول (ابن منظور) في معجمه (لسان العرب) في مادة (حقق) أنّ: "بلغ حقيقة الأمر أي يقين شأنه، وفي الحديث: لا يبلغ المؤمن حقيقة الإيمان حتى لا يعيب مسلما بعيب هو فيه؛ يعني خالص الإيمان ومحضه وكنهه، وحقيقة الرجل: ما يلزمه حفظه ومنعه، ويحق عليه الدفاع عنه من أهل بيته، والعرب تقول: فلان يسوق الوسيقة وينسل الوديقة ويحمي الحقيقة ... والحقيقة ما يحق عليه أن يحميه، وجمعها الحقائق، والحقيقة في اللغة: ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه..."[1]؛ بمعنى أن الحقيقة في الاستعمال اللغوي تدل على معانٍ متعددة، يجمعها معنى الثبوت واليقين، من قبيل: الحق، والصدق، والصحة، والوجوب، والرسوخ، في مقابل ما يخرج عن ذلك من المجاز أو التجاوز..

ب- في الاصطلاح: ترتبط الحقيقة – في الاصطلاح البلاغي – باستعمال اللفظ في المعنى الذي وُضع له ابتداءً في نظام التخاطب، بحيث يكون هذا المعنى هو المتبادر إلى الذهن عند إطلاق اللفظ، دون حاجة إلى قرينة تُصرفه عن دلالته الأصلية. ومن ثمّ، فإن معيار الحقيقة يقوم على مطابقة الاستعمال للوضع الأول، الذي اصطلح عليه أهل اللغة أو الشرع أو العرف.

وعلى هذا الأساس، يُعدّ اللفظ حقيقة إذا استُعمل في معناه الأصلي، كما في إطلاق لفظ "الأسد" على الحيوان المفترس، أو "القمر" على الجرم السماوي المعروف، حيث تتحقق الدلالة المباشرة دون وساطة أو نقل. فالحقيقة، بهذا المعنى، تمثل الدلالة الأصلية للفظ، وهي الدلالة التي تعود إلى الجهة التي وضعت اللفظ أول مرة، سواء أكانت جهة لغوية أم شرعية أم عرفية[2].

وبذلك، فإن الحقيقة – بمختلف أنواعها – تمثل الأساس في فهم الخطاب، ولا سيما النصوص الشرعية، إذ لا يُصار إلى المجاز إلا عند تعذر حمل اللفظ على حقيقته، ولضبط تعريف الحقيقة؛ يجب الانتباه إلى ثلاثة ضوابط.

أن يكون اللفظ مستعمَلًا: إذ لا تُعدّ الكلمة التي وُضعت ولم يجرِ استعمالها في التداول اللغوي من قبيل الحقيقة ولا المجاز؛ لأن الاعتبار إنما يكون لما دخل حيّز الاستعمال، لا لما بقي مهملًا خارج دائرة التخاطب.

---

[1] ابن منظور. لسان العرب. ج 4. مادة (حقق).

[2] ينظر: عماد علي عبد السميع. التيسير في أصول واتجاهات التفسير. دار الإيمان. الإسكندرية. 2006م. ص ص 76، 77.

أن يكون الاستعمال واقعًا فيما وُضع له اللفظ: وبذلك يُستبعد كل استعمال خرج فيه اللفظ عن معناه الأصلي، سواء في الاصطلاح اللغوي أو الشرعي أو العرفي، لأنه يدخل حينئذٍ في باب المجاز، كما يُستثنى الخطأ اللساني، وهو استعمال اللفظ في غير ما وُضع له على سبيل الغلط، كمن يشير إلى حقيبة ويقول: "خذ هذه القطة."

أن يكون ذلك في إطار اصطلاح التخاطب: إذ تختلف دلالة اللفظ باختلاف الجهة المستعملة له، فقد يكون اللفظ حقيقة في اصطلاح، ومجازًا في آخر، كما في لفظ "الصلاة" الذي يُستعمل في الدعاء عند اللغويين، وفي العبادة المخصوصة عند الشرع، ومن ثمّ تتحدد حقيقته أو مجازه بحسب السياق الاصطلاحي الذي يرد فيه

.2- أقسام الحقيقة : تنقسم الحقيقة إلى أقسام متعددة، تبعًا لاختلاف الجهة التي وضعت اللفظ لمعناه، بحيث يُقابل كل نوع منها نظيرُه من المجاز بحسب هذا الاعتبار[1]:

1- الحقيقة اللغوية: هي استعمال اللفظ في معناه الذي وُضع له في أصل اللغة، وفق الاستعمال العربي العام، كإطلاق لفظ "اليد" على العضو المعروف، و"الأسد" على الحيوان المفترس. ويقابلها المجاز اللغوي، وهو استعمال اللفظ في غير ما وُضع له في أصل اللغة لعلاقة معتبرة، كإطلاق "اليد" على النعمة أو القدرة، ووصف الشجاع بـ"الأسد."

2-الحقيقة الشرعية: هي استعمال اللفظ في المعنى الذي حدّده الشرع، بحيث يكتسب دلالة خاصة في الخطاب الشرعي، كإطلاق "الصلاة" على العبادة المخصوصة، و"الزكاة" على إخراج جزء معين من المال بشروط محددة، وكذلك "الصوم" و"الحج" ونحوها. ويقابلها المجاز الشرعي، وهو استعمال هذه الألفاظ في معانيها اللغوية داخل السياق الشرعي، كإطلاق "الصلاة" على الدعاء، و"الصوم" على مطلق الامتناع.

الحقيقة العرفية العامة: هي استعمال اللفظ بحسب ما استقر عليه استعمال الناس في خطابهم اليومي، ولو خالف أصله اللغوي، كإطلاق "الدابة" على الحيوان الذي يمشي على أربع. ويقابلها المجاز العرفي العام، وهو استعمال اللفظ في غير ما استقر عليه العرف العام، ولو وافق معناه اللغوي، كإطلاق "الدابة" على كل ما يدبّ على الأرض من إنسان وحيوان.

---

[1] يُنظَر: عبد الرحمن حبنكة. البلاغة العربية. دار القلم. دمشق. ط1. (1416هـ- 1996م). ج2. ص219.

الحقيقة العرفية الخاصة: هي استعمال اللفظ وفق ما اصطلحت عليه فئة معينة في مجال علمي أو مهني خاص،

ثانيا: المجاز:

يُعدّ المجاز من المفاهيم الأساسية في علم البيان، ويقوم على استعمال اللفظ في غير معناه الأصلي الذي وُضع له في اصطلاح التخاطب، مع وجود قرينة تصرفه عن هذا المعنى، وتدلّ على إرادة معنى آخر. ومن ثمّ، فإن المجاز لا يتحقق بمجرد النقل في الدلالة، بل يشترط فيه اقتران الاستعمال بما يمنع من إرادة الحقيقة، ويُوجّه الفهم إلى المعنى المقصود.

1 تعريف المجاز: للوقوف على مفهوم المجاز وضبط حدوده في الدرس البلاغي، يقتضي الأمر استجلاء معناه من الناحيتين: اللغوية والاصطلاحية، تمهيدًا لبيان خصائصه وتمييزه عن الحقيقة.

المجاز في اللغة: المِجازُ مُشتَقٌّ مِن الفعل (جاز)، يقول (ابن فارس) في هذا: "جاز، يجوز، جوزًا، وجوازًا، يقال: جاز المكان، إذا سار فيه، وأجازه: قطَعه، يقال: جاز البحر: إذا سلَكه وسار فيه حتى قطَعه وتعدَّاه...ويقال: أجاز الشيء؛ أي: أنفَذه، ومنه: إجازة العقد: إذا جعل جائزًا نافذًا ماضيًا على الصحة... وجاوزت الشيء وتجاوزته: تعدَّيته، وتجاوزت عن المسيء: عفوتُ عنه وصفحت، قال ابن فارس: (جوز) الجيم والواو والزاء أصلانِ: أحدهما: قطعُ الشيء، والآخر: وسط الشيء؛ فأما الوسط، فجَوْز كل شيء وسَطه...، والأصل الآخر: جُزت الموضع، سِرْت فيه، وأجزته: خلَّفته وقطعتُه، وأجزته أنفذته"[1]، وعلى هذا الأساس، يرتبط المجاز في دلالته اللغوية بمعاني الانتقال والتجاوز، وما يتصل بهما من قطعٍ ونفاذٍ ومجاوزةٍ للحدّ، بما يُفيد العدول عن الأصل إلى غيره.

المجاز في الاصطلاح: يقوم مفهوم المجاز في الدرس البلاغي على الانتقال المقصود باللفظ من معناه الأصلي إلى معنى آخر، تحكمه علاقة معتبرة، وتلازمه قرينة تمنع من إرادة المعنى الوضعي. فليس المجاز مجرد خروج عن الأصل، بل هو عدول منضبط بقواعد دلالية دقيقة، تُراعي طبيعة العلاقة بين المعنيين، سواء أكانت علاقة مشابهة أم غيرها، وعلى هذا الأساس، عُرِّف المجاز بأنه:

"اسْتِعمالُ اللَّفظِ في غيرِ ما وُضِع له في اصْطِلاحِ التَّخاطُبِ لعَلاقةٍ، معَ قَرينةٍ مانِعةٍ مِن إرادةِ المعْنى الوَضْعيّ، والعَلاقةُ: هي المناسَبةُ بَيْنَ المعْنى الحَقيقيّ والمعْنى المِجازيّ، قد تكونُ المشابَهةَ بَيْنَ المعْنيَينِ، وقد تكونُ غيرَها"[2].

---

[1] ابن فارس. معجم مقاييس اللغة. تحق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر. (1399هـ- 1979م). ج2. ص50.

[2] علي الجارم ومصطفى أمين. البلاغة الواضحة. ص ص 69-72.

ويكشف هذا التعريف عن عناصر المجاز الأساسية، المتمثلة في: النقل الدلالي، والعلاقة، والقرينة، وهي عناصر تجعل الاستعمال المجازي مقصودًا لا اعتباطيًا.

وفي هذا السياق، نبّه عبد القاهر الجرجاني إلى البعد الاستعمالي للمجاز، حين قال:

"ما توسع الناس فيه لفظًا، واصطلحوا عليه واستجازوه، إما ضرورة كتسمية الرجل كلبًا أو أسدًا، وإما اختيارًا للتخفيف والعادة، كقولها: طلع الفجر، وأظلم الليل، ونبت الشجر"[1].

ومنه يُبرز هذا التصور أن المجاز وليد الاستعمال اللغوي الحي، وأنه يمثل مظهرًا من مظاهر اتساع اللغة العربية وقدرتها على التعبير عن المعاني بطرائق متعددة. ومن ثمّ، فإن اللجوء إلى المجاز لم يكن بدافع الزينة اللفظية فحسب، بل استجابة لحاجة تعبيرية تفرضها طبيعة التخاطب، ورغبة في الإيجاز أو التأثير أو تكثيف الدلالة، ممّا يبيّن أنّ فهم المجاز لا يستقيم إلا بإدراك علاقاته، والوقوف على قرائنه، واستحضار سياقه، وهو ما يُمكّن من التمييز الدقيق بينه وبين الحقيقة، ويُبرز قيمته في البناء البلاغي.

ثالثا–الفرق بين الحقيقة والمجاز:

تتحدد العلاقة بين الحقيقة والمجاز في ضوء طبيعة الاستعمال اللغوي ووظيفته، إذ تمثّل الحقيقة الأصل في الدلالة، بينما يُعدّ المجاز فرعًا يُلجأ إليه عند الحاجة البلاغية. فالحقيقة هي استعمال اللفظ فيما وُضع له ابتداءً، كما في إطلاق ألفاظ مثل "أسد" و"غزال" و"غراب" على الحيوانات المعروفة، حيث تتحقق الدلالة المباشرة دون واسطة.

أما المجاز، فيقوم على العدول عن هذا الأصل إلى معنى آخر لعلاقة معتبرة، كالمشابهة أو غيرها، تحقيقًا لأغراض بلاغية، مثل الاتساع في التعبير، أو التوكيد، أو التقريب والتصوير. ومن ذلك إطلاق لفظ "الأسد" على الرجل الشجاع، و"الغزال" على المرأة الحسناء، و"الغراب" على من يتشاءم الناس منه، وهي استعمالات تقوم على نقل الدلالة من المعنى الحقيقي إلى معنى مجازي تدعمه علاقة ظاهرة.

ولا يقتصر الفرق بين الحقيقة والمجاز على طبيعة الاستعمال فحسب، بل يمتدّ إلى مجالهما الدلالي في الخطاب، حيث تتساوى دلالتهما في إفادة المعنى والحكم، لا سيما في النصوص الشرعية؛ إذ يُثبت بالحقيقة المعنى الذي وُضع له اللفظ، سواء أكان عامًا أم خاصًا، أمرًا أم نهيًا، كما يُثبت بالمجاز المعنى المنقول إليه، ما دامت القرينة قائمة على تعيينه. ومن ثمّ، فإن المجاز لا يُعدّ أضعف دلالة من الحقيقة، بل يُسهم – شأنه شأنها – في بناء المعنى وإقراره في ذهن المتلقي.

---

[1] عبد القاهر الجرجاني. دَرْج الدرر في تفسير الآي والسور. تحق: طلعت الفرحان ومحمد أديب شكور. دار الفكر. عَمان. ط1. (1430هـ- 2009م). ج2. ص39.

وخلاصة القول، يتبيّن أن مبحث الحقيقة والمجاز يشكّل حجر الزاوية في فهم طبيعة العلاقة بين اللفظ والمعنى في الخطاب العربي، إذ يقوم على التمييز بين الدلالة الأصلية التي يستقرّ عليها الاستعمال، والدلالة المنقولة التي يُلجأ إليها لتحقيق مقاصد بلاغية مخصوصة. ومن ثمّ، فإن هذا المبحث لا يُعنى بتصنيف الألفاظ فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى الكشف عن آليات إنتاج المعنى، وكيفية توجيهه في ضوء السياق ومقتضيات التخاطب.

وقد أظهر تحليل الحقيقة أنها تمثّل الأصل الذي يُبنى عليه الفهم، بما تقوم عليه من ثبات في الدلالة واستقرار في الاستعمال، في حين يتجلّى المجاز بوصفه مظهرًا من مظاهر مرونة اللغة واتساعها، حيث يُتيح للمتكلم تجاوز حدود الدلالة المباشرة إلى آفاق أرحب من التصوير والتكثيف والتأثير. غير أن هذا الانتقال لا يتم على نحو اعتباطي، بل يخضع لضوابط دقيقة، تتمثل في العلاقة بين المعنيين، والقرينة المانعة من إرادة الحقيقة، وهو ما يجعل المجاز نظامًا دلاليًا منضبطًا، لا مجرد انزياح لغوي حر.

كما يتبيّن أن المفاضلة بين الحقيقة والمجاز ليست مفاضلة في القوة الدلالية، بل هي مفاضلة في الوظيفة والسياق، إذ يتكاملان في بناء المعنى، ويشتركان في تحقيق الإفهام والتأثير، كلٌّ بحسب ما يقتضيه المقام. وهو ما يكشف عن الطابع الوظيفي للبلاغة العربية، بوصفها علمًا يُعنى بكيفية استعمال اللغة في سياقها، لا بمجرد وصف بنياتها.

وعليه، فإن إدراك الفرق بين الحقيقة والمجاز، والقدرة على تمييز حدودهما واستحضار قرائنهما، يُمثّل خطوة حاسمة في تنمية الملكة البلاغية، ويفتح أمام الدارس أفقًا أعمق لفهم النصوص وتحليلها، لا سيما في الخطاب القرآني والأدبي، حيث تتجلّى طاقات اللغة في أرقى صورها، ويتحقق التفاعل بين المعنى وسياقه في بناء دلالة مركّبة وغنية.

❖ التطبيق 1:

أجب بإيجاز:

1. ما المقصود بالحقيقة في الاصطلاح البلاغي؟
2. ما الشرط الذي يجعل الاستعمال مجازًا لا حقيقة؟
3. ما دور القرينة في المجاز؟

❖ التطبيق 2:

أجب بصحيح أو خطأ مع التعليل

1. الحقيقة هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له.

2. لا يتحقق المجاز إلا بوجود قرينة.
3. المجاز أضعف دلالة من الحقيقة دائمًا.
4. المجاز مجرد تزيين لغوي.

المحاضرة الثامنة: أنواع المجاز

يمثّل المجاز أحد أهم الآليات التعبيرية في علم البيان، إذ يقوم على مبدأ الانزياح الدلالي، المتمثل في انتقال اللفظ من معناه الحقيقي إلى معنى آخر غير مباشر، تحكمه علاقة وقرينة. ويُسهم هذا الانتقال في إكساب المعنى بعدًا تصويريًا، يجعله أكثر حضورًا وتأثيرًا في نفس المتلقي، لما ينطوي عليه من تجسيدٍ للمعاني وإخراجها في صورة حسية قريبة الإدراك.

وقد تبيّن من خلال ما سبق أن المجاز لا يقتصر على كونه وسيلة لغوية للاتساع، بل يتجاوز ذلك إلى أداء وظائف بلاغية تتصل بالتأثير والإقناع، وهو ما يمنحه مكانة مركزية في بناء الخطاب. وانطلاقًا من هذا الأساس، يتجلّى المجاز في صور وأنواع متعددة، تختلف باختلاف طبيعة العلاقة القائمة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي.

قسَّم المجاز – من حيث طبيعته الدلالية – إلى نوعين رئيسين: لغوي وعقلي.

أولا– المَجاز اللُغويّ:

يقوم المجاز اللغوي على استعمال اللفظ في غير معناه الأصلي الذي وُضع له، اعتمادًا على علاقة دلالية تربط بين المعنى الحقيقي والمعنى المنقول إليه، مع اقتران هذا الاستعمال بقرينة مانعة من إرادة المعنى الحرفي. ومن ثمّ، فإن هذا العدول لا يكون اعتباطيًا، بل تحكمه ضوابط دقيقة تُراعي طبيعة العلاقة بين الدلالتين.

وانطلاقًا من نوع هذه العلاقة، ينقسم المجاز اللغوي إلى قسمين رئيسين: فإذا قامت العلاقة على المشابهة بين المعنيين، عُدّ ذلك استعارة، أما إذا كانت العلاقة قائمة على غير المشابهة، سُمّي مجازًا مرسلًا. ويمكن تفصيل هذين القسمين وبيان صورهما على النحو الآتي:

1-**الاستعارة:** تقوم على نقل اللفظ من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي لعلاقة المشابهة بينهما، مع وجود قرينة تمنع إرادة المعنى الأصلي، وهي نوعان رئيسان: [1]

أ– استعارة مكنية: تتحقق عندما يُذكر المشبَّه صراحة، ويُحذف المشبَّه به، مع الإبقاء على شيء من لوازمه يدل عليه.

[1] ينظر: مصطفى الجويني. البلاغة العربية تأصيل وتجديد. ص104.

ب – استعارة تصريحية: تتحقق بذكر المشبَّه به صراحة، مع حذف المشبَّه، بحيث يُفهم من السياق.

2-**المجاز المرسل:** هو استعمال اللفظ في غير معناه الأصلي لعلاقةٍ غير المشابهة، مع وجود قرينة تمنع إرادة المعنى الحقيقي. وقد سُمّي مرسلاً؛ لأن اللفظ يُنقل من معناه الأول إلى معنى آخر يرتبط به بعلاقة معيّنة دون أن تقوم بينهما علاقة تشبيه[1]، يتجلى وفقا لعلاقات متنوعة، يتمثل أهمها في الآتي[2]:

العلاقة	التعريف	المثال
السببية	ذكر السبب وإرادة المسبّب	رعت الماشية الغيث (أي النبات)
المسبّبية	ذكر المسبّب وإرادة السبب	﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ (غافر: 13)
الحالية	ذكر الحال وإرادة المحل	﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (آل عمران: 107)
المحلية	ذكر المحل وإرادة الحال فيه	﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ (العلق: 17)
الجزئية	إطلاق الجزء وإرادة الكل	﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ (النساء: 92)
الكلية	إطلاق الكل وإرادة الجزء	﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ (البقرة: 19)
اعتبار ما كان	تسمية الشيء بما كان عليه	﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ (النساء: 2)
اعتبار ما سيكون	تسمية الشيء بما سيؤول إليه	﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (نوح: 27)
اللزومية	ذكر اللازم وإرادة الملزوم	طلع الضوء (أي الشمس)
الملزومية	ذكر الملزوم وإرادة اللازم	ملأت الشمس المكان (أي الضوء)

[1] ينظر: علي الجارم، مصطفى أمين. البلاغة الواضحة. ص70، ووليد قصاب. البلاغة العربية: علم البيان. ص145.

[2] جلال الدين السيوطي. الكوكب الساطع نظم جمع الجوامع، ومعه شرحه المسمى الجليس الصالح النافع بتوضيح معاني الكوكب الساطع. مكتبة ابن تيمية. ط1 (1419هـ\ 19998م). ص101.

البدلية	ذكر البدل وإرادة المبدل منه	﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ (النساء: 103)
المبدلية	ذكر المبدل منه وإرادة البدل	أكلت دم فلان (أي ديته)
المجاورة	ذكر الشيء وإرادة ما يجاوره	كلمت الجدار (أي من بجواره)

ثانيا– المجازُ العقليُّ:

ويُسمى بالمجاز الإسنادي، وهو "الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأويل إفادة للخلاف لا بوساطة وضع"[1]؛ أي يُقصد به ما يكون فيه اللفظ مستعملاً في معناه الأصلي، دون نقل في دلالته، إلاّ أن المجاز يقع في الإسناد؛ أي في نسبة الفعل إلى غير فاعله الحقيقي. ولهذا عرّفه ابن فارس بأنه: "إضافة الفعل إلى ما ليس بفاعل في الحقيقة"[2]. ومن أمثلته قولنا: "شفى الطبيبُ المريضَ"، إذ إن الشفاء في الحقيقة من الله، لكنّ الفعل أُسنِد إلى الطبيب لوجود علاقة بينه وبين حصول الشفاء، كالتسبب فيه، ومن مظاهره الآتي[3]:

1– الإسناد إلى سبب الفعل: كأن نقول: بلّط الحاكم شوارع المدينة، فإن الحاكم لم يبلط الشوارع بنفسه، ولكنّه سبّب التبليط.

2– الإسنادُ إلى المكانِ، في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ (الأنعام: 6)، فقد أسندَ الجريَ إلى الأنهار، وهي أمكنةٌ للمياهِ، وليستْ جاريةً بل الجاري ماؤُها.

3– الإسناد إلى الزمان، ومثاله قول الشاعر:

لا تحسبنَّ سروراً دائماً أبداً مَنْ سرَّهَ زمنٌ ساءتْهُ أزمان

حيث أسند الإساءة والسرور إلى الزمن، وهو لم يفعلهما، بل كانا واقعين فيه على سبيل المجاز.

4– الإسناد في النسبة غير الإسنادية: ومثاله قولنا: تجري الأنهار إلى البحر، فإن النهر لا يجري، بل الماء الذي فيه هو الذي يجري.

5– الإسنادُ إلى المصدرِ، كقول أبي فراس الحمداني:

---

[1] السكاكي. مفتاح العلوم. تحق: نعيم زرزور. دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان. ط2. (1407هـ\ 1987م). ج1. ص185.

[2] ابن فارس. الصاحبي في فقه اللغة. دار المعارف. بيروت. ط1. (1418هـ\ 1997م). ص210.

[3] ينظر: أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة. ص ص 270، 171.

سَيَذْكُرُنِي قَوْمي إذا جَدّ جدّهُمْو في الليلة الظلماءِ يفتقدُ البدرُ

فقد أسندَ الجدَّ إلى الجدِّ، أي الاجتهادِ، وهو ليسَ بفاعلٍ له، بل فاعلُه الجادُّ، فأصله جدَّ الجادُّ جدًّا، أي اجتهدَ اجتهاداً، فحذفَ الفاعلَ الأصليَّ وهو الجادُّ، وأسندَ الفعلَ إلى الجدِّ.

وخلاصة القول، يتبيّن أن تعدّد أنواع المجاز يعكس ثراء اللغة العربية واتساع طاقتها التعبيرية، إذ لا يقف المجاز عند حدود الانتقال الدلالي البسيط، بل يتجاوز ذلك إلى بناء شبكة معقّدة من العلاقات التي تربط بين المعاني، وتُسهم في تشكيل الدلالة في مستوياتها المختلفة. ومن ثمّ، فإنّ التمييز بين المجاز اللغوي والمجاز العقلي لا يُفهم بوصفه تصنيفًا شكليًا، بل باعتباره مدخلًا لفهم طبيعة التحوّل في الدلالة، سواء تعلّق باللفظ ذاته أم بعلاقاته الإسنادية داخل التركيب.

وقد أظهر تحليل المجاز اللغوي أن العلاقة بين المعنى الحقيقي والمجازي تُعدّ الأساس في توجيه الدلالة، سواء قامت على المشابهة كما في الاستعارة، أم على غيرها كما في المجاز المرسل، وهو ما يبرز مرونة اللغة في نقل المعاني وتجسيدها. كما كشف المجاز العقلي عن مستوى أعمق من الاشتغال البلاغي، حيث لا يقع التحوّل في اللفظ، بل في الإسناد، بما يُبرز دقة العلاقة بين الفعل وفاعله، ويُسهم في توجيه المعنى وفق مقتضيات السياق.

وإذا كان المجاز، في مختلف صوره، يقوم على العدول عن الأصل، فإن هذا العدول ليس خروجًا عن النظام، بل هو توسّع منضبط تحكمه العلاقة والقرينة، ويهدف إلى تحقيق أغراض بلاغية تتصل بالتأثير، والتصوير، والإيجاز، وتكثيف الدلالة. وهو ما يؤكد أن المجاز يمثّل أداة مركزية في بناء الخطاب، لا مجرد وسيلة تزيينية.

وعليه، فإن إدراك أنواع المجاز، والتمييز بين صوره المختلفة، يُمثّل مرحلة متقدمة في تكوين الملكة البيانية، ويُعين الدارس على تحليل النصوص واستكشاف ما تنطوي عليه من علاقات دلالية دقيقة، بما يُمكّنه من فهم أعمق لطرائق التعبير في اللغة العربية، واستحضار أبعادها الجمالية والتداولية في آنٍ واحد.

❖ التطبيق 1:

حدد نوع المجاز مع التعليل فيما يأتي:

1. يقول تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ سورة مريم: 4
2. يقول تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ سورة غافر: 13
3. يقول تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ سورة النساء: 92
4. يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي﴾ سورة الأنعام: 6

❖ **التطبيق 2**:

بيّن نوع العلاقة فمايأتي:

1. يقول تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ سورة البقرة: 19
2. يقول تعالى: ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ سورة آل عمران: 107
3. يقول تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ سورة العلق: 17
4. يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ سورة النساء: 10

❖ **التطبيق 3**:

حدد نوع الاستعارة وبيّن طرفيها فيما يأتي:

1. يقول تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ سورة الإسراء: 24
2. يقول تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ سورة إبراهيم: 1

المحاضرة التاسعة: التشبيه وأضربه

يعدّ التشبيه من أبرز مباحث علم البيان، إذ يقوم على إظهار اشتراك طرفين أو أكثر في صفة معيّنة، بقصد توضيح المعنى وتقريبه إلى ذهن المتلقي. ومن ثمّ، فإنه يُسهم في تجلية الدلالة وإبرازها في صورة محسوسة أو أوضح إدراكًا

أولا– تعريف التشبيه:

للإحاطة بحقيقة التشبيه وضبط مفهومه، لا بد من مقاربته من زاويتين متكاملتين: الزاوية اللغوية، ثم الزاوية الاصطلاحية عند البلاغيين.

التشبيه لغة: ارتبط مفهوم التشبيه في الاستعمال اللغوي بدلالتي المماثلة والتقارب بين الأشياء. وفي هذا السياق، يوضح ابن منظور أن مادة (ش ب ه) تدور حول معنى المشابهة والمماثلة، إذ يقول: «الشَّبَهُ والشَّبيهُ المِثَلُ، والجمع أَشْباه، وأَشْبَهَ الشَّيْءُ الشَّيْءَ: ماثَلَهُ، وأَشْبَهْتُ فُلانًا وشابَهْتُهُ، واشْتَبَهَ عَلَيَّ، وتَشابَهَ الشَّيْئان؛ أَي أَشْبَهَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما صاحِبَهُ، وشَبَّهَهُ بِهِ: مَثَّلَهُ، والتَّشْبيهُ التَّمْثيلُ»[1].

وعليه، فإن التشبيه في أصله اللغوي يقوم على إثبات نوع من المشاركة والمشابهة بين شيئين أو أكثر في صفة أو هيئة، وهو ما يمهّد لمفهومه الاصطلاحي في الدرس البلاغي.

التشبيه اصطلاحا: يُعرَّف التشبيه بأنه: «بيان أن شيئًا أو أشياء شاركت غيرها في صفةٍ أو أكثر، بأداةٍ هي الكاف أو نحوها، ملفوظةً أو ملحوظة»[2]. بمعنى أن التشبيه يقوم على إظهار علاقة اشتراك بين طرفين في صفة جامعة، مع الاستعانة بأداة تدلّ على هذه المشاركة تصريحًا أو تقديرًا، علما أنّ المماثلة لا تقوم فيه على التطابق التام، لأن تحقق المشابهة الكلية يفضي إلى اتحاد الطرفين[3]، وهو ما يتنافى مع طبيعة التشبيه.

وانطلاقًا من ذلك، يتبيّن أن التشبيه بناءٌ بلاغيٌّ يقوم على عناصر محددة تتكامل فيما بينها تتمثل في أركانه وهي أربعة أركان: **المشبه و**هو الأمر الذي يُراد إلحاقه بغيره، و**المشبه به:** هو الأمر الذي يلحق به المشبه، و**وجه الشبه** وهو الصفة أو الصفات المشتركة بين المشبه والمشبه به، و**أداة التشبيه** وهي

---

[1] ابن منظور. لسان العرب. ج7. مادة (شَبَهَ). ص17.

[2] علي الجارم، ومصطفى أمين. البلاغة الواضحة. ص30.

[3] حامد عبد الهادي حسين. البلاغة والمعنى في النص القرآني. مركز البحوث والدراسات الإسلامية. العراق. 2007. ص ص 128، 129.

اللفظ الذي يدل على التشبيه، ويربط المشبه بالمشبه به، وقد تذكر الأداة في التشبيه، وقد تحذف[1]، وهي على ثلاثة أنواع :

– **أسماء**: وهي: (مثل، وشبه، وشبيه، ومثيل ...)، ومثالها قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ (آل عمران: 117)

– **أفعال**: وهي: (حسب، خال، ظن، يشبه، تشابه ...)، ومثاله قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ (النور: 39)، وقوله: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ (طه: 66) وقوله: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ (البقرة: 70).

– **حروف**: وهي بسيطة كالكاف في قوله تعالى: ﴿كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ (إبراهيم: 17)

ثانيا: أغراض التشبيه:

لا يَرِدُ التشبيه في الكلام على سبيل المصادفة أو الزينة اللفظية، بل يقوم على غرض بلاغي مقصود، يُسهم في توضيح المعنى وتقريبه إلى ذهن المتلقي، وتتعدد أغراض التشبيه بحسب السياق، ‘لاّ أنها تعود في الغالب إلى المشبَّه، وقد تتصل أحيانًا بالمشبَّه به .ومن أهم هذه الأغراض ما يأتي[2]:

بيان إمكان وجود المشبَّه: يُقصد بهذا الغرض إثبات أن المشبَّه أمرٌ ممكن الوقوع، خاصة إذا كان مما يُستبعد في الظاهر، فيأتي التشبيه ليُزيل هذا الاستبعاد، ويُقرّب إمكانه إلى الذهن.

بيان حال المشبَّه: يُستعمل التشبيه هنا للكشف عن صفة في المشبَّه تكون مجهولة أو غير واضحة لدى المخاطَب، وذلك بالاستعانة بمشبَّه به معروف الصفات، مما يُسهم في توضيح المعنى وإبرازه.

بيان مقدار حال المشبَّه: يهدف هذا الغرض إلى تحديد درجة الصفة في المشبَّه من حيث الشدة أو الضعف، أو القلة أو الكثرة، أو غير ذلك من المعايير القابلة للقياس.

تقرير حال المشبَّه: يُراد بهذا الغرض تثبيت صورة المشبَّه في ذهن المتلقي وترسيخها، وذلك من خلال تقديمه في صورة محسوسة واضحة، خاصة عند تشبيه المعاني المجردة بأشياء مادية مدركة بالحواس.

تحسين حال المشبَّه والترغيب فيه: يتحقق هذا الغرض من خلال تشبيه المشبَّه بشيء محبوب أو مستحسن عند المخاطَب، فتنتقل إليه صفات الحسن والجمال، فيُصبح أكثر قبولًا وتأثيرًا في النفس.

---

[1] أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة. ص205.

[2] ينظر: أحمد مطلوب، وحسن البصير. البلاغة والتطبيق. ص ص311-314.

تقبيح حال المشبَّه والتنفير منه: وهو عكس الغرض السابق، حيث يُشبَّه المشبَّه بشيء مكروه أو مستقبَح، فيكتسب صفاته القبيحة، مما يدعو إلى النفور منه والابتعاد عنه.

ثالثا: أقسام التشبيه:

قسَّم علماء البلاغة التشبيه اعتمادًا على عدد من الاعتبارات، من أبرزها:

1- التشبيه باعتبار تعدد وجه الشبه أو مفرده: ويُقسَّم إلى:

أ- التشبيه التمثيلي: يُعرَّف التشبيه التمثيلي – عند عبد القاهر الجرجاني – بأنه التشبيه الذي لا يكون وجه الشبه فيه ظاهرًا مباشرة، بل يحتاج إدراكه إلى تأمّل وإعمال الفكر[1]، إذ لا تقوم العلاقة بين المشبَّه والمشبَّه به على اشتراكٍ صريح في صفة واحدة، وإنما على صورة مركَّبة تُنتزع من عدة عناصر.

فالمشبَّه في هذا النوع لا يشارك المشبَّه به في حقيقة الصفة الظاهرة، بل في أثرها أو لازمها، ولذلك يتطلب فهمه تجاوز المعنى الحرفي إلى معنى أعمق يُستنبط بالتأويل.

ويُعدّ هذا النوع من التشبيه أبلغ أنواع التشبيه؛ لما فيه من دقةٍ في التصوير، وعمقٍ في الدلالة، إذ يُسهم في تقوية المعنى، ويزيد من تأثيره في النفس؛ فإن كان في مقام المدح كان أوقع، وإن كان في الذم كان أشدّ، وإن جاء في مقام الحجاج كان أوضح وأقوى.

كما أنه يتطلب من المتلقي جهدًا ذهنيًا لاستخراج وجه الشبه من صورة مركبة، قد تكون عناصرها حسية أو معنوية، مثل قول الشاعر:

ولاحت الشمس تحكي عند مطلعها مرآةَ تِبرٍ بدت في كفِّ مرتعشِ

في هذا المثال شبَّه الشاعر الشمس عند شروقها –وهي حمراء لامعة مضطربة – بمرآة من ذهب تهتز في يدٍ مرتعشة، فوجه الشبه هنا ليس صفة واحدة مباشرة، بل هيئة مركبة من اللون واللمعان والحركة.

ويرد التشبيه التمثيلي في موضعين رئيسين:

في مفتتح الكلام: حيث يأتي في صورة قياس توضيحي أو برهان تمهيدي، يُقرّب الفكرة إلى الذهن منذ البداية، ومنه قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ (البقرة: 261)

بعد تمام المعنى: حيث يأتي لتأكيد الفكرة وتقريرها، فيكون بمنزلة **الدليل أو البرهان** الذي يدعم المعنى السابق، مثل: وما المالُ والأهلون إلا ودائعُ ولا بدّ يومًا أن تُردَّ الودائعُ.

---

[1] محمود السيد شيخون، "نظرات في التمثيل البلاغي"، المجلد 1، جامع الكتب الإسلامية، ص3.

ب– التشبيه غير التمثيلي: التشبيه غير التمثيلي هو التشبيه الذي يكون فيه **وجه الشبه واضحًا بيّنًا في ذاته**، لا يحتاج إدراكه إلى تأويل أو إعمال فكر؛ وذلك لأن المشبَّه يُشارك المشبَّه به في **الصفة نفسها حقيقةً وجنسًا**، لا في لازمها أو أثرها [1]، وبعبارة أخرى، يقوم هذا النوع من التشبيه على اشتراك مباشر في صفة مفردة ظاهرة، مما يجعل العلاقة بين الطرفين سهلة الإدراك، قريبة الفهم، مثل قول المتنبي في الرثاء:

وما الموتُ إلا سارقٌ دقَّ شخصُهُ يصولُ بلا كفٍّ ويسعى بلا رجلِ

- المشبَّه: الموت
- المشبَّه به: السارق (اللص خفيّ الهيئة)
- وجه الشبه: الخفاء وعدم الظهور (وهو معنى ظاهر يُدرك بسهولة)

في هذا المثال شبَّه الشاعر الموت بالسارق الخفيّ، من حيث مباغتته وخفاؤه، وهي صفات واضحة لا تحتاج إلى تأويل، مما يجعل التشبيه من قبيل غير التمثيلي.

2– التشبيه باعتبار ذكر أداة التشبيه ووجه الشبه أو حذفهما: ووفق هذا الاعتبار، ينقسم التشبيه إلى أنواع، من أهمها:

أ التشبيه المرسل: هو التشبيه الذي تُذكر فيه أداة التشبيه، ويُحذف منه وجه الشبه[2]، وسُمِّي هذا النوع بـ"المرسل"؛ لأنه جاء خاليًا من التوكيد، أي ورد في صورة مباشرة دون تعقيد، فظهرت فيه الأداة ولم يُصرَّح بوجه الشبه، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ (إبراهيم: 26) حيث:

- المشبَّه: الكلمة الخبيثة
- المشبَّه به: الشجرة الخبيثة
- أداة التشبيه: الكاف
- وجه الشبه: محذوف (ويُفهم من السياق)

ب التشبيه المؤكَّد: هو التشبيه الذي تُحذف فيه أداة التشبيه، مع بقاء طرفيه (المشبَّه والمشبَّه به)، وقد يُذكر وجه الشبه أو يُفهم من السياق. ويُسمّى هذا النوع "مؤكَّدًا"؛ لأن حذف الأداة يُقوّي العلاقة بين الطرفين، ويجعل المشبَّه كأنه عين المشبَّه به، مثل: هم البحور عطاءً، حيث:

---

[1] محمود السيد شيخون، "نظرات في التمثيل البلاغي"، المجلد 1، جامع الكتب الإسلامية، ص2.

[2] ينظر: محمد أحمد قاسم. علوم البلاغة: البديع والبيان والمعاني. ص158.

- المشبَّه: هم
- المشبَّه به: البحور
- أداة التشبيه: محذوفة
- وجه الشبه: العطاء والسعة (مذكور في الكلام)

ج التشبيه المفصل: هو ما صُرّح فيه بوجه الشبه، سواء ذُكرت الأداة أم حُذفت. فإذا اجتمع في التشبيه ذكر الأداة ووجه الشبه سُمّي مرسلًا مفصَّلًا، وإذا حُذفت الأداة مع بقاء وجه الشبه سُمّي مؤكَّدًا مفصَّلًا.

ومن ذلك قول الشاعر:

وسهيلٌ كوجنة الحبِّ في اللون وقلبِ المحبِّ في الخفقان

ففي الشطر الأول شُبِّه سهيل بوجنة الحب في اللون، فهو تشبيه مرسل مفصَّل لذكر الأداة ووجه الشبه، وفي الشطر الثاني شُبِّه سهيل بقلب المحب في الخفقان، فهو تشبيه مؤكَّد مفصَّل لحذف الأداة وذكر وجه الشبه.

د التشبيه المجمل: وهو التشبيه الذي يُحذف منه وجه الشبه، مع بقاء سائر أركانه (المشبَّه، والمشبَّه به، وأداة التشبيه) [1]، ويُفهم وجه الشبه في هذا النوع من خلال السياق أو من دلالة التركيب، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ (القمر: 50)، حيث:

- المشبَّه: حصول ما يأمر الله تعالى به من التكوين
- المشبَّه به: لمح البصر
- أداة التشبيه: الكاف
- وجه الشبه: السرعة واليسر (محذوف، ويُفهم من السياق)

يدلّ هذا التشبيه على كمال قدرة الله تعالى، إذ إن أمره إذا تعلّق بشيء فإنما يقع بمجرد إرادة واحدة، فيتحقق بسرعة فائقة كلمح البصر.

وقوله "واحدة" صفة لموصوف محذوف، تقديره: (كلمة واحدة) أو (قولة واحدة)، والمقصود بها كلمة "كن."

وينقسم التشبيه المجمل، من حيث وضوح وجه الشبه وخفائه، إلى نوعين:

---

[1] علي الجازم، ومصطفى أمين. البلاغة الواضحة. البيان، المعاني، البديع. ص25.

1 تشبيه مُجمل ظاهر: وهو ما كان وجه الشبه فيه واضحًا يسهل إدراكه، بحيث يشترك في فهمه عامة الناس وخاصتهم، ولا يحتاج إلى تأمل كبير.

مثاله: تشبيه الوجه بالبدر، والقامة بالغصن.

2 تشبيه مُجمل خفي: وهو ما كان وجه الشبه فيه دقيقًا يحتاج إلى تأمل ونظر، ولا يُدرك بسهولة، ومثاله: ما رُوي عن فاطمة بنت الخُرْشُب حين سُئلت: أيُّ أولادك أفضل؟ فقالت: "هم كالحلقة لا يُدرى أين طرفاها"، وتقصد بذلك أنهم متساوون في الشرف والشجاعة، لا تفاضل بينهم، فهم كالحلقة المتصلة التي لا يُعرف لها طرف من وسط أي:

- المشبَّه: الأبناء
- المشبَّه به: الحلقة
- أداة التشبيه: الكاف
- وجه الشبه: التساوي والتناسب التام (محذوف، ويُستنبط بالتأمل)

رابعا: التشبيه باعتبار المقلوب وغير المقلوب: ويُقسَّم إلى:

أ– التشبيه غير المقلوب: وهو الذي لا يجعل المشبه مشبها به؛ بادّعاء أن وجه الشبه فيه أقوى وأظهر.

ب– التشبيه المقلوب: وهو جعل المشبه مشبهاً به، والمشبه به مشبهاً، بادعاء أنّ وجه الشبه في المشبه أقوى من المشبه به[1]، ومثاله قوله تعالى: ﴿أفَمَن يَخْلقُ كَمَن لا يَخْلقُ﴾ (النحل: 17)، فقد عُدَّ هذا الموضع من التشبيه المقلوب، وأصله: أفمن لا يخلق كمن يخلق.

خامسا: التشبيه باعتبار صراحته أم ضمنه: ويُقسَّم إلى:

أ– التشبيه الصريح (المباشر): هو التشبيه الذي يُصرَّح فيه بعلاقة المشابهة بين الطرفين، وذلك باستعمال أداة من أدوات التشبيه، مثل: الكاف، أو "كأنَّ"، أو "مثل"، أو غيرها. ويكون هذا النوع واضحًا مباشرًا، لا يحتاج إلى تأويل لفهم العلاقة بين المشبَّه والمشبَّه به، مثل:

"شجرتها كالمظلّة"

المشبَّه: الشجرة

المشبَّه به: المظلّة

[1] ينظر: عبد العزيز عتيق. علم البيان. ص95.

أداة التشبيه: الكاف

وجه الشبه: الاتساع والظلّ

وعليه يمتاز التشبيه الصريح بسهولة إدراكه، لأنه يقدّم العلاقة التشبيهية بصورة مباشرة، بخلاف التشبيه الضمني الذي يُفهم من السياق دون التصريح بأداة.

ب التشبيه الضمني: التشبيه الضمني هو التشبيه الذي لا يُصرَّح فيه بأركانه صراحةً (المشبَّه، والمشبَّه به، وأداة التشبيه)، وإنما تُفهم العلاقة التشبيهية فيه من خلال المعنى العام والسياق، عن طريق الاستنتاج والتأمل، ولذلك سُمِّي "ضمنيًّا"[1]؛ لأنّ التشبيه فيه كامن في التركيب، غير ظاهر على سطح العبارة.

ويُستعمل هذا النوع غالبًا في مقام التقرير أو الإقناع، حيث يأتي التشبيه في صورة حُجّة أو دليل يُثبِت المعنى بطريقة غير مباشرة، مما يزيده قوة وتأثيرًا في النفس، ومثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا

لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ (الأعراف: 40)

- المشبَّه: حرمان الكافرين من دخول الجنة
- المشبَّه به: دخول الجمل في ثقب الإبرة
- أداة التشبيه: محذوفة
- وجه الشبه: الاستحالة

في هذه الآية تشبيه ضمني يُفهم من قوله" :حتى يلج الجمل في سم الخياط"، حيث يدل السياق على استحالة دخولهم الجنة، كما يستحيل دخول الجمل في ثقب الإبرة.

وقد جاء هذا الأسلوب على سبيل المبالغة في النفي والتأكيد، مع إقامة برهان قوي على المعنى، إذ كلما كان التشبيه غير مباشر وأدقّ، كان أشد تأثيرًا في النفس.

وخلاصة القول، يتبيّن أن التشبيه ليس مجرد وسيلة بيانية قائمة على إظهار المشابهة بين طرفين، بل هو بناء بلاغي متكامل يُسهم في تشكيل المعنى وإعادة صياغته في صورة أكثر وضوحًا وتأثيرًا. فهو، في جوهره، آلية تصويرية تُقرّب المجرد من المحسوس، وتُجسّد المعاني في صور حية، بما يُمكّن المتلقي من إدراكها إدراكًا أعمق وأدقّ.

---

[1] ينظر: أحمد علي الفلاحي. الصورة في الشعر العربي. دار الأندلس. ط2. (1401هـ\ 1981م). ص111.

وقد كشف تحليل أركان التشبيه وأغراضه عن أنّ هذا الأسلوب يخضع لمنطق دلالي دقيق، يقوم على اختيار العلاقة المناسبة بين المشبَّه والمشبَّه به، بما يحقق الغرض البلاغي المقصود، سواء أكان ذلك في مقام البيان، أم التقرير، أم التأثير. كما أظهر تنوّع أقسامه – من التمثيلي إلى غير التمثيلي، ومن المرسل إلى المؤكّد، ومن المفصل إلى المجمل، ومن الصريح إلى الضمني – مدى مرونة اللغة العربية وقدرتها على تنويع طرائق التعبير بحسب مقتضيات السياق.

وإذا كان عبد القاهر الجرجاني قد جعل أساس البلاغة قائمًا على النظم، أي على العلاقات التي تربط بين أجزاء الكلام، فإن التشبيه يُعدّ من أبرز تجليات هذا النظم، إذ تتحدد قيمته لا بمجرد ذكر طرفيه، بل بطريقة بنائه، وكيفية توزيع عناصره داخل التركيب، بما يُسهم في توجيه الدلالة وإحداث الأثر في نفس المتلقي.

ومن ثمّ، فإنّ التفاضل بين أنواع التشبيه لا يقوم على بنيتها الشكلية فحسب، بل على قدرتها على تحقيق الغرض البلاغي، حيث يظلّ التشبيه الضمني – لما يتطلبه من إعمال الفكر – أكثر تأثيرًا في مقام الحجاج، في حين يكون التشبيه الصريح أنسب لمقام البيان والتوضيح.

وعليه، فإن إدراك بنية التشبيه وأقسامه يُمثّل مرحلة متقدمة في تكوين الملكة البيانية، ويُعين الدارس على تحليل النصوص واستكشاف طرائق تصوير المعاني فيها، بما يفتح أمامه أفقًا أرحب لفهم جماليات التعبير العربي، والوقوف على أسرار تأثيره في مختلف السياقات.

❖ **التطبيق1**:

استخرج أركان التشبيه فيما يأتي:

1 قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ آل عمران: 117

2 قوله تعالى: ﴿كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾ إبراهيم: 17

3 قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾ النحل: 77

❖ **التطبيق 2**:

حدد نوع التشبيه مع التعليل فيما يأتي

1 قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ إبراهيم: 26

2 قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ القمر: 50

3 قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ... كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ البقرة: 261

4 قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَا يَخْلُقُ﴾ النحل: 17

المحاضرة العاشرة: الاستعارة

تُصنَّف الاستعارة ضمن المجاز اللغوي، وهي من أبرز موضوعات علم البيان، وأحد الفروع الأساسية لعلم البلاغة. وتتحقق الاستعارة حين يُستعمل اللفظ في غير معناه الأصلي المتعارف عليه في الاستعمال اللغوي، على أن تقوم بين المعنى الأصلي والمعنى المنقول إليه علاقة قائمة على المشابهة.

1- تعريف الاستعارة:

للوقوف على حقيقة الاستعارة وضبط مفهومها بدقة، يجدر بنا تناولها من زاويتين متكاملتين: الزاوية اللغوية، ثم الزاوية الاصطلاحية.

1-1- الاستعارة لغة:

ورد على لسان (ابن منظور)، في معجمه (لسان العرب)، في مادة (ع – و- ر) أن "اسْتَعارَ: طَلَبَ العارِيَّةَ، واسْتَعارَهُ الشَّيْءَ واسْتَعارَهُ مِنْهُ: طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُعيرَهُ إِيّاهُ ... واسْتَعارَهُ ثَوْبًا فأَعارَهُ إِيَّاهُ"[1]، وعليه تكون الاستعارة وفقا لهذا التعريف، قد ارتبطت بمعنى الطلب والإعطاء والأخذ.

وورد في المعجم الوسيط أنَّ "أَعارَهُ الشيءَ إعارةً، وعارَةً: أَعطاه إِيَّاه عارِيَّة"[2]؛ أي إنّ لفظَ الاستعارةِ مشتقٌّ من الإعارة، ويُفيد في أصل دلالته معنى نقلِ الشيء وتحويلِه من موضعٍ إلى آخر.

1-2- الاستعارة اصطلاحا:

يُعَدُّ الجاحظ (ت 255هـ) من أوائل من حدّد مفهوم الاستعارة، إذ عرّفها بقوله: "الاستعارة تسميةُ الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"[3] .ويُفهم من هذا التعريف أن الاستعارة تقوم على مبدأ الإحلال، حيث يُوضَع لفظٌ موضعَ آخر لوجود علاقة بينهما.

وعلى هذا الأساس، يرى البلاغيون أن الاستعارة تتحقق من خلال نقل اللفظ من معناه الأصلي إلى معنى آخر، تربط بينهما علاقةُ مشابهة، بما يُسهم في توسيع الدلالة وتعميقها. كما تتجلّى، من حيث بنيتها، في كونها صورةً من صور التشبيه حُذف أحد طرفيه، فانتقل التعبير من مستوى التصريح إلى مستوى الإيحاء.

---

[1] ابن منظور. لسان العرب. ج10. مادة (عور).

[2] مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية. القاهرة. ط2. (1392هـ\ 1972). مادة (ع ور)

[3] الجاحظ. البيان والتبيين. ج1. ص153.

وهكذا تتبيّن الاستعارة بوصفها أسلوبًا بيانيًا يقوم على نقل المعنى في صورة مؤثرة، تُكسب التعبير قوةً وثراءً دلاليًا.

2- مكونات الاستعارة:

تقوم الاستعارة، بوصفها بناءً بيانيًا، على أربعة عناصر أساسية تتكامل فيما بينها، وهي[1] :

- **المستعار منه**: وهو المعنى الأصلي الذي وُضع له اللفظ أولًا، ويقابل في بنية التشبيه **المشبَّه به**.
- **المستعار له**: وهو المعنى الجديد الذي نُقل إليه اللفظ، ولم يُوضَع له في الأصل، ويقابل **المشبَّه**.
- **المستعار**: وهو اللفظ المنقول من معناه الأصلي إلى المعنى الجديد، ويُفهم من خلاله وجه العلاقة أو الشبه بين الطرفين.
- **القرينة**: وهي العلامة التي تصرف اللفظ عن معناه الحقيقي إلى معناه المجازي، وتمنع من إرادة المعنى الأصلي، وتنقسم إلى قرينة لفظية وأخرى حالية.

فالقرينة اللفظية هي التي يدلّ عليها لفظٌ مذكور في الكلام، يُوجّه المعنى نحو المجاز، كما في قولهم :«خرج الأسود في القتال» ؛ إذ إن لفظ »في القتال «صرف معنى «الأسود » عن الحيوان المعروف إلى الرجل الشجاع.

أما القرينة الحالية، فهي التي يُفهم معناها من السياق أو الحال دون أن تُذكر صراحة في اللفظ، ومن ذلك قوله تعالى :

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ (الأنعام: 122)،

حيث استُعمل لفظ »ميتًا «للدلالة على الضلال، و«أحييناه» للدلالة على الهداية، وقد دلّ السياق على هذا المعنى المجازي.

ومن الشواهد الشعرية قول الهذليّ :

وإذا المنيّةُ أنشبت أظفارَها ... أبصرتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ

[1] ينظر: عبد العزيز عتيق. علم البيان. ص173- 175، وعلي الكاتب. مواد البيان. دار البشائر. سورية. ط1. 2003م. ص125.

فقد أُسندت الأظفار إلى المنيّة (الموت)، على سبيل الاستعارة، إذ شُبّهت بالوحش المفترس الذي يملك أظفارًا، مع حذف المشبَّه به[1]، مما يُبرز الصورة البيانية ويقوّي أثرها.

وبذلك يتضح أن الاستعارة بناءٌ دقيق يقوم على تفاعل هذه العناصر، بما يُنتج دلالة مجازية موحية ومؤثرة.

3- خصائص الاستعارة:

تُعَدّ الاستعارة من أبرز مظاهر البلاغة وفصاحة التعبير، لما تُتيحه من تكثيف المعاني في ألفاظ قليلة، مع ما تحمله من طاقة إيحائية وتأثيرية عالية. ومن أهم خصائصها ما يأتي[2]:

المبالغة في إبراز المعنى وتأكيده: تُسهم الاستعارة في توكيد المعنى وتقويته، إذ لا تكتفي بمجرد التشبيه، بل تجعل المشبَّه في صورة المشبَّه به، وكأنه جزء منه، مما يُضفي على المعنى قوة ووضوحًا.

تجسيد المعاني وتشخيصها: تمتاز الاستعارة بقدرتها على تحويل المعاني المجرّدة إلى صور محسوسة، تُضفي على الجمادات حياةً وحركة، فتغدو وكأنها كائنات حيّة تتفاعل مع محيطها.

حُسن الإيضاح وتنبيه الذهن: تتميّز الاستعارة بقدرتها على توضيح المعاني وإثارة الفكر وتحريك الشعور، من خلال صور بيانية تُقرّب المعنى وتجعله أكثر تأثيرًا.

وبذلك يتبيّن أن الاستعارة ليست مجرد تزيين لغوي، بل وسيلة بلاغية فعّالة تُسهم في بناء المعنى وإغنائه، وتُحدث أثرًا واضحًا في نفس المتلقي.

4- أنواع الاستعارة:

تُوصَف الاستعارة بالحُسن والجمال إذا انطوت على قدرٍ من الصياغة البلاغية الرفيعة، وأسهمت في تقديم المعنى في صورة مغايرة لمعناه الأصلي، على نحو يُكسبه قوةً وتأثيرًا. أمّا إذا خلت من هذه الخصائص، وضعُف فيها الجانب الفني، فإنها تُوصَف بالقبح لعدم تحقيقها الأثر البلاغي المطلوب.

وعلى هذا الأساس، تتنوع الاستعارة بحسب بنيتها وطرائق توظيفها، وذلك على النحو الآتي :

أولا الاستعارة من حيث اللفظ: يُقسِّم البلغاء الاستعارة من حيث لفظها إلى[3] :

---

[1] ينظر: عبد العزيز عتيق. علم البيان. ص180.

[2] ينظر: عبد العزيز عتيق. علم البيان. ص ص196-198.

[3] نفسه، ص186.

أ **استعارة أصليّة:** حين يكون اللفظ المستعار اسماً جامداً غير مُشتقّ، مثل قول الشاعر: عضَّنَا الدهر بنابه ليتَ ما حلَّ بنابِهْ؛ حيث شبه الشاعر الدهر بحيوان مُفترِس، ثم حذف المشبَّه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو العضّ، والدهر اسم جامد مشتق من "دَهَرَ".

ب استعارة تبعيّة: حين اللفظ المستعار اسماً مشتقّاً، أو فعلاً، مثل قول الله تعالى: ﴿وَلَمّا سَكَتَ عَن موسَى الغَضَبُ﴾ (الأعراف: 154)، فلفظة (سكت) مستعارة، وهي بدل كلمة (انتهى)، وقد شُبِّه الغضب بإنسان، ثمّ حُذِف المشبَّه به، وهو الإنسان، وقد رُمِز إليه بشيء من لوازمه وهو السكوت.

ثانيا الاستعارة من حيث طرفيها: تُقسَم الاستعارة من حيث طرفيها باعتبار الملائِم؛ أي شيء يُلائِم المشبَّه به إلى[1] :

أ الاستعارة المُرشحة: هي ما ذُكِر معها ما يُلائم ويُناسب المشبَّه به بعد حذفه، ومثال ذلك قول الشاعر :

إذا ما الدّهر جرّ على أناس كلاكله أناخ بآخرينا

أي أنَّ عادة الدهر تكدير العيش على الناس، فيُصيب أُناسا بأذى، ثمّ ينتقل ليصيب آخرين، وقد شبّه الدهر بجَمل، إلا أنّه حذف المشبَّه به (الجمل)، وأشار إليه بلفظ (كلاكل)، والذي يعني صدر الجمل، والقرينة تتمثل بالتأكيد أنّ للدهر كلاكل، كما هي موجودة عند الجمل.

ب الاستعارة المُجرَّدة: هي ما ذُكر معها ملائم المشبَّه أي (المستعار له)، وعلى سبيل المثال، قَوْل: "رحم الله امرأ ألجم نفسه بإبعادها عن شهواتها"؛ حيث شُبِّهت النفس بجواد يُكبَح، وحُذِف لفظ (الجواد)، ورُمِز إليه بشيء من لوازمه، وما يتعلق به وهو (الإلجام).

ج الاستعارة المُطلَقة: وهي التي خلت من ملائمات المشبَّه والمشبَّه به، أو هي أيضاً ما ذُكِر معها ملائمات المشبَّه والمشبَّه به معاً، ومثال ما خلت من الملائمات قول المتنبي :

يا بدر يا بحر يا غمامة يا ليث الشرى يا حِمام يا رجل

المشبَّه في البيت الشعري هو الممدوح، والمشبَّه به كلٌّ من البدر والبحر، والغمامة، وليث الشرى، والحِمام، والقرينة هي النّداء، والاستعارة هنا حالية؛ مما يُلائم المشبَّه والمشبَّه به؛ لذلك سُمِّيت بالمطلَقة.

---

[1] ينظر: المرجع السابق، ص 186-191.

ثالثا الاستعارة من حيث ذكر أحد أطرافها: تُقسَم الاستعارة من حيث ذكر أحد أطرافها إلى[1]:

أ استعارة تصريحيّة: هي ما ذُكر فيها أو صُرّح فيها بلفظ المشبَّه به، وحذف المشبه، ومثاله قول الله تعالى: ﴿كِتابٌ أَنزَلناهُ إِلَيكَ لِتُخرِجَ النّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النّورِ﴾ (إبراهيم: 1)، فهنا كلمتا الظُّلُمات والنور جاءتا لتدلّان على الضّلال والنور، وجاء المشبَّه واضحا؛ والقرينة حاليّة؛ لأنّها تُفهم من المعنى.

ب استعارة مكنيّة: هي التي حُذِف فيها المشبَّه به، ورُمِز له بشيء من لوازمه، ومثاله قوله تعالى: ﴿ربِّ إني وَهَن العظيمُ منّي واشتعلَ الرأسُ شيبا﴾ ؛ إذْ صرّح بالمشبه وهو الشيب، وحذف المشبه به وهو النار، وترَكَ شيئاً من لوازمه، وهو الاشتعال، فقد شبّه تعالى الشيب في الرأس بالنار في سرعة الانتشار[2].

ج استعارة تمثيلية: هي تركيبٌ استعمل في موضعٍ غير ما وضع له في أصل اللغة، ويمكن اعتبارها تشبيها تمثيليا؛ إذ يكون بتشبيه صورة بصورة، وفيها يتم حذف التصريح بالمشبه به، وحذف المشبه، ويكثر استخدام هذا النوع من الاستعارة في الأمثال الشعبية، وهي تكون بالإتيان بهذا المثل في غير موضعه؛ للاستفادة من معناه في الحالة المشابهة لمضمون ذلك المثل، ومن ذلك قولهم: "أحشفًا وسوء كيلة"، وذلك عند استخدام هذا المثل في المعنى نفسه الذي ورد به، فيذكر أنّ بعض الأشخاص أراد شراء التّمر من البائع، فاختار له البائع الحشف، فأعطاه البائع الحشف "وهو أردأ أنواع التمر" ثمّ أنقص له في الميزان، فقال له الرجل: أحشفًا وسوء كيلة؟!

رابعا الاستعارة المُفرَدة المُركَّبة: تُقسَم الاستعارة أيضاً إلى مُفرَدة ومُركَّبة، والتي تتمثل في الآتي[3]:

أ الاستعارة المُفرَدة: هي التي يكون المستعار فيها لفظاً مفرداً، كالاستعارة التصريحيّة والمكنيّة.

ب الاستعارة المُركَّبة: هي التي يكون المستعار فيها تركيباً وليس لفظاً واحداً، وتُسمَّى بالاستعارة التمثيليّة، وهي تركيب استُعمِل في غير موضعه لوجود تشابه مع قرينة تمنع من تحقيق المعنى الأصليّ، وتُعطي معنى آخر، ومثال ذلك قول: (لا تنثر الدرّ أمام الخنازير)، والمعنى الحقيقيّ هنا هو النّهي عن

---

[1] ينظر: عبد الله النقراط. الشامل في اللغة العربية. ليبيا: دار الكتب الوطنية. ليبيا. 2003م. ط1. ص ص156-157.

[2] ينظر: عبد المتعال الصعيدي. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة. مكتبة الآداب. (1426هـ\ 2005م). ط17. ج3. ص111.

[3] عبد العزيز عتيق. علم البيان. ص ص 192-195.

نثر الدرّ أمام الخنازير، إلّا أنّه يُقال مجازاً –أي بمعناه غير الحقيقي والمختلف– لمن يقدِّم النصيحة لمن لا يفهمُها، أو لا يأخذُ بها،

خامسا الاستعارةُ بحسَبِ الجامع: تَنقسِمُ الاستعارةُ بحسَبِ الجامعِ إلى[1]:

أ استعارةٍ عامِّيَّةٍ مُبتذَلةٍ: وهي التي تَلُوكُها الألْسنةُ، واعتادَها النَّاسُ، ولا تَحتاجُ إلى إعمالِ عَقلٍ لفَهمِها؛ كقولِك: رأيتُ شَمسًا، وقابلْتُ أسدًا، وهذا النَّوعُ مِن الاستعارةِ لا يَهتَمُّ به البُلغاءُ، ولا يُستحسَنُ إلَّا في مَقامِ الوعظِ والإرشادِ، أو في المخاطَباتِ العامَّةِ.

ب استعارةٌ خاصِّيَّةٌ: وهي ما كان الجامعُ بيْن المستعارِ والمستعارِ له بَعيدًا، يَحتاجُ إلى إعمالِ عَقلٍ، وإطالةِ نَظرٍ؛ كقولِ طُفيلٍ الغَنَويّ:

وجَعَلْتُ كوري فَوْقَ ناجيةٍ يَقْتاتُ شَحْمَ سنامِها الرَّحلُ

الكُورُ: الرَّحلُ، والنَّاجيةُ: الناقةُ؛ استعارَ الشَّاعرُ (الاقتِياتَ)، وهو الأكلُ وتَناولُ الطَّعامِ بالفمِ، لإذهابِ الرَّحلِ لشَحْمِ السَّنامِ، والجامعُ بيْنهما إزالةُ الشَّيءِ تَدْريجيًّا، فمِن كَثرةِ احتكاكِ الرَّحلِ بسِنامِ النَّاقةِ أهْزَلَها وأذْهَبَ شَحْمَ سنامِها، فكأنَّه كان يَأكُلُه.

وخلاصة القول، يتبيّن أن الاستعارة تمثّل ذروة الاشتغال البياني في اللغة العربية، لما تنطوي عليه من قدرة فائقة على نقل المعاني من مستوى المباشرة إلى مستوى الإيحاء والتكثيف، بحيث لا تقتصر على مجرد الاستبدال اللفظي، بل تؤسس لعلاقات دلالية عميقة تُعيد تشكيل المعنى في صورة أكثر حيوية وتأثيرًا. ومن ثمّ، فإنها لا تُفهم بوصفها انزياحًا عارضًا عن الأصل، بل باعتبارها نظامًا تعبيريًا قائماً على المشابهة، تحكمه القرينة، ويُوجَّه بمقتضيات السياق.

وقد كشف تحليل مكوّنات الاستعارة وخصائصها عن دقة هذا البناء، حيث تتكامل عناصرها — من مستعار منه ومستعار له وقرينة — لتنتج دلالة موحية تتجاوز حدود التصريح إلى آفاق الإيحاء. كما أظهر تنوّع أنواعها، من حيث اللفظ والطرفين والبنية والجامع، مدى ثراء هذا الأسلوب وقدرته على التكيّف مع مختلف المقامات، سواء في مقام البيان، أو التأثير، أو الحجاج.

وإذا كانت الاستعارة في أصلها امتدادًا للتشبيه، فإنها تتجاوزه من حيث الكثافة الدلالية، إذ تقوم على حذف أحد الطرفين، مما يُلزم المتلقي بإعمال الفكر لاستخراج العلاقة الكامنة، وهو ما يمنحها طابعًا إيحائيًا أعمق، ويجعلها من أقوى وسائل التأثير في الخطاب.

---

[1] ينظر: المراغي. علوم البلاغة: البيان، المعاني، البديع. ص268، وعبد المتعال الصعيدي. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة. ج3. ص494.

وفي ضوء نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، تتجلّى الاستعارة بوصفها نتاجًا للعلاقات التي تربط بين أجزاء الكلام، لا مجرد مفردات معزولة، حيث تتحدد قيمتها من خلال موقعها في التركيب، ودورها في توجيه الدلالة وإحداث الأثر. ومن ثمّ، فإن البلاغة لا تتحقق في الاستعارة بحد ذاتها، بل في كيفية توظيفها داخل النسق اللغوي بما ينسجم مع مقتضى الحال.

وعليه، فإن الإلمام بأنواع الاستعارة وأوجه استعمالها يُمثّل مرحلة متقدمة في تكوين الملكة البيانية، ويُسهم في تمكين الدارس من تحليل النصوص واستكشاف أبعادها الدلالية والجمالية، بما يُفضي إلى فهم أعمق لأسرار التعبير العربي، والوقوف على طاقاته الإبداعية في مختلف السياقات.

❖ **التطبيق1**:

حدد نوع الاستعارة مع التعليل فيما يأتي:

1 قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ... لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ إبراهيم: 1

2 قوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ مريم: 4

3 قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ التكوير: 18

❖ **التطبيق 2: قال الجاحظ: الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره"**

طبّق هذا التعريف على قولنا: رأيت بحرًا في الكرم

المحاضرة الحادية عشرة: الكناية

تتحقّق الكناية حين يلجأ المتكلّم إلى التعبير عن معنىً ما بغير لفظه الصريح المباشر، فيُعرض عنه إلى لفظٍ آخر يدلّ عليه بطريق غير مباشر، بحيث يُفهم المعنى المقصود من خلال التأمل والاستنباط، لا من خلال التصريح.

فالمتكلم في الكناية لا يذكر المعنى المقصود على وجه المكاشفة، وإنما يورِده في صورةٍ موحية، تقتضي من المتلقي إعمال الفكر للوصول إلى الدلالة المرادة، وهو ما يُكسب التعبير بعدًا بلاغيًا أعمق.

إذن ما المقصود بالكناية، وفيم تتمثل أنواعها، وما الغاية منها؟

أولا– تعريف الكناية:

للوقوف على حقيقة الكناية وضبط مفهومها، لا بد من تناولها من زاويتين متكاملتين: الزاوية اللغوية، ثم الزاوية الاصطلاحية.

أ الكناية لغة: تُفيد الكناية في أصلها اللغوي معنى العدول عن التصريح إلى التلميح، فهي مأخوذة من قولهم: كَنَيْتُ أو كَنَوْتُ عن الشيء، إذا تركت ذكره صراحةً، وأشرت إليه بلفظٍ آخر يدلّ عليه.، وقد ورد على لسان (ابن منظور)، في معجمه (لسان العرب)، في مادة (كني) أنَّ " الكناية: أَن تتكلم بشيء وتريد غيره. وكَنَى عن الأَمر بغيره يَكني كِناية: يعني إِذا تكلم بغيره مما يستدل عليه نحو الرفث والغائط ونحوه. وفي الحديث: «من تَعَزَّى بعزَاء الجاهلية فأَعِضُّوه بأَيْر أَبيه ولا تَكْنُوا» وفي حديث بعضهم: رأَيت عِلْجاً يومَ القادِسيةِ وقد تَكَنَّى وتَحَجَّى أَي تستر، من كَنَى عنه إِذا وَرَّى، أَو من الكُنْية، كأَنه ذكر كنْيته عند الحرب ليُعرف، وهو من شعار المبارزين في الحرب"[1]؛ وهو ما يُبرز أن الكناية تقوم على التعبير غير المباشر، مع وجود دلالة تُرشد إلى المعنى المقصود.، ولم يبتعد عن هذا المفهوم (ابن فارس)، في معجمه (مقاييس اللغة)؛ إذ يقول: "كنى فلان، يكني عن كذا، وعن اسم كذا إذا تكلم بغيره مما يستدل به عليه"[2]، ومنه يتبيّن من هذه التعريفات اللغوية أن الكناية تقوم على ترك التصريح بالمعنى، والتعبير عنه بلفظٍ آخر يُفهم منه المقصود بطريق الدلالة والاستنباط، وهو ما يُمهّد لمفهومها الاصطلاحي في البلاغة.

---

[1] ابن منظور. لسان العرب. ج15. مادة (كني)

[2] ابن فارس. مقاييس اللغة. ج15. مادة (كني).

ب الكناية اصطلاحا: يعرَّفها القزويني بإنَّها لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى، أي: المعنى الحقيقي للفظ الكناية[1]، ويعرفها الزركشي بقوله: "هي عند أهل البيان أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، لا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء المعنى هو ردفه في الوجود؛ فيومئ إليه ويجعله دليلا عليه"[2]، وعليه، يمكن القول إن الكناية هي لفظٌ يُراد به معنىً آخر غير معناه الأصلي الموضوع له، على أن يبقى المعنى الحقيقي ممكن الإرادة، غير مُستبعَد من السياق.

ثانيا– بلاغة الكناية:

تتقاطع الكناية مع المجاز في اعتمادها الأسلوب غير المباشر في التعبير عن المعاني، إلاّ أنها تمتاز بخصوصية تتمثل في إمكان إرادة المعنى الحقيقي مع الدلالة على معنى ملازم له. ومن ثمّ، تتجلّى بلاغتها في جملة من الخصائص، من أبرزها:

- **جمالية التصوير والإيحاء:** تؤدّي الكناية المعنى عبر ذكر لازمٍ من لوازمه، لا بالتصريح به مباشرة، فتجمع بين الدلالة على المعنى وإيراد ما يُثبتُه ويؤكّده، مما يُكسب التعبير قوةً وإيحاءً.
- **تجسيد المعاني في صور حسّية:** تُسهم الكناية في نقل المعاني الذهنية إلى صور محسوسة قريبة من إدراك المتلقي، فتزداد وضوحًا وتأثيرًا، كالتعبير عن الكرم بكثرة الرماد، لما يدلّ عليه من كثرة الطبخ وإطعام الضيوف.
- **التعريض والقدرة على التلميح:** تُتيح الكناية للمتكلم أن يعبّر عن مقاصده، ولا سيما في مقام الذمّ أو النقد، بأسلوب غير مباشر، فيُصيب المعنى دون أن يصرّح به، وهو ما يُعرف بالتعريض.
- **تفخيم المعنى وتعظيمه:** تُسهم الكناية في ترسيخ المعاني في نفس السامع، إذ تُقدَّم في صورة موحية أبلغ من التصريح، مما يزيدها تأثيرًا وقوةً في التلقي.

وبذلك تظهر الكناية أداةً بلاغية فعّالة، تجمع بين الدقة والإيحاء، وتُثري الخطاب بعمقٍ دلالي وجمالي.

---

[1] ينظر: الخطيب القزويني. تلخيص المفتاح. ص338.

[2] الزركشي. البرهان في علوم القرآن. ج2. ص301.

ثالثا – أنواع الكناية:

تتنوع الكناية إلى الآتي:

1– الكناية عن الصفة: وهي الكناية المطلوب بها الصفة نفسها، والمراد بالصفة المعنى القائم المطلق، كالشجاعة والجمال، لا الصفة ذات الدلالة النحوية، وتتحقق هذه الكناية من خلال التصريح بالموصوف، والنسبة إليه، من خلال صفة أخرى، تؤدي أو تعكس الصفة المطلوبة؛ لكونها مجاورة لها أو ردفها[1]، ومثل قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (الكهف: 42)، فهذا التعبير كناية عن الندم؛ فتقليب الكف من لوازم الندم.

هذا النوع من الكناية – تكون على نوعين هُما[2]:

أ الكِناية القريبة: هي التي لا يحتاج إيصال المعنى المراد فيها إلى واسطة بين المعنى المراد (المعنى التحتي) والمعنى الظّاهر (المعنى السطحي)؛ فيصل القارئ للمعنى دون تحليل ذِهنيّ له، ومِثاله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (الإسراء: 29)، ففي الآية الكريمة قُصِد باليد المغلولة إلى العُنُق بـ: (البُخل)، أمّا اليد المبسوطة فهي: (الإسراف)

ب الكِناية البعيدة: هي التي يحتاج إيصال المعنى المراد فيها إلى وُجود واسطة أو وسائط، يتمّ من خلالها انتقال المعنى من الظّاهر إلى الباطن (المقصود)[3]، ومِثاله :

قول عمر بن الخطّاب: (هذا عدوٌّ شديدٌ كَلَبُه، قليل سَلَبُه)، وفي هذا المِثال في جُملة: (عدوٌّ شديد كَلَبُه)، انتقال بين وسائط مُختلفة حتّى الوُصول إلى المعنى المقصود، وهو: (النّهي عن التّعرض للعدو). كما يأتي :

(الكلب) -----> (الحيوان مُفترس) -----> (الحيوان المفترس المريض، أو المجنون) ---> (شِدّة الحيوان وقسوته) -----> (الحرب الشّديدة) -----> (النّهي عن الحرب ضدّ هذا العدو).

---

[1] ينظر: أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة: في المعاني والبيان والبديع. ص345.

[2] ينظر: نفسه. ص348، وأحمد فتحي رمضان الحياني، الكناية في القرآن الكريم. دار غيداء للنشر والتوزيع. الأردن. (1435هـ\ 2014م). ط1. ص 26.

[3] أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة: في المعاني والبيان والبديع. ص349.

2- كناية عن موصوف: وهي ما صرح فيها بالصفة والنسبة، دون الموصوف؛ بمعنى يُصرَّح بالصفة وينسبها إلى الموصوف، من دون التصريح به، لكن يذكر عنه صفة أو صفات تختص به وتدل عليه[1]، ومثاله: قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ (القلم: 48): كناية عن موصوف وهو سيدنا يونس.

والكناية عن موصوف تكون على نوعين[2] :

الأول: أن يكون المكنّى عنه، موصوفاً بمعنى واحد، ومثاله قول شوقي :

إن الذي ملأ اللغات محاسنا جعل الجمال وسره في الضاد

فقد كنى (بالضاد) عن (اللغة العربية)؛ لأن حرف الضاد من خصائصها التي تدل عليها.

الثاني: أن يكون المكنّى عنه موصوفاً بعِدّة معانٍ، نحو قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ (القمر: 13)، فقد كنى (ألواح ودسر) عن (السفينة)؛ لأن مجموع الأمرين مجتمعين، وصف مختص بالسفينة.

3- الكناية عن نسبة: وهي ما ذُكر فيها الصفة والموصوف، ولم يُصرح بالنسبة، مع أنها هي المرادة، ويُراد بها إثبات أمر أو نفيه عنه، وتذكر نسبة أخرى تستلزم النسبة المكنى عنها[3]، ومثاله[4] قول الشنفرى :

تحلُّ بمنجاة من اللوم بيتها إذا ما بيوت بالمذمة حلَّت[5]

يقصد الصفة في الممدوح، من خلال إثباتها في المكان الذي يكون فيه، وإلى لزومها له بلزومها الموضوع الذي يحله، فالشاعر يثبت صفة العفة للمرأة، من خلال نفي اللؤم عنها، وأبعدها عنه بأن نفاه عن بيتها، وباعد بينها وبينه.

---

[1] ينظر: أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة: في المعاني والبيان والبديع. ص349، وأحمد مطلوب. معجم المصطلحات البلاغية. الدار العربية للموسوعات. لبنان. (1427هـ\ 2006م). ط1. ص572.

[2] ينظر: محمود السيد شيخون. البلاغة الوافية. ص ص142، 143.

[3] ينظر: أحمد مطلوب. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. ص572.

[4] أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة: في المعاني والبيان والبديع. ص348.

[5] نفسه، ص348.

وخلاصة القول، يتبيّن أن الكناية تمثّل أحد أرقى الأساليب البيانية في اللغة العربية، لما تنطوي عليه من قدرة على الجمع بين الدقة في الدلالة، والعمق في الإيحاء، بحيث لا تُفصح عن المعنى تصريحًا، بل تُومئ إليه بطريق غير مباشر، يُشرك المتلقي في عملية الفهم والاستنباط. ومن ثمّ، فإنها تُجسّد بعدًا تداوليًا في الخطاب، يقوم على توظيف التلميح بدل التصريح، بما يحقق غايات بلاغية تتصل بالتأثير والإقناع.

وقد أظهر تحليل مفهوم الكناية وخصائصها أنها تختلف عن المجاز من حيث إبقاء المعنى الحقيقي ممكن الإرادة، وهو ما يمنحها خصوصية دلالية تجعلها قائمة على تعدد مستويات الفهم، بين ظاهر اللفظ ولازمه. كما كشف تنوّع أنواعها – من كناية عن صفة، أو موصوف، أو نسبة – عن مرونة هذا الأسلوب وقدرته على التعبير عن المعاني في صور متعددة، تتراوح بين المباشرة النسبيّة والعمق الدلالي الذي يتطلب إعمال الفكر.

وإذا كانت الكناية تشترك مع سائر أساليب البيان في تحقيق الغرض البلاغي، فإنها تتميّز بقدرتها على تحقيق هذا الغرض دون المساس بلياقة التعبير أو صراحته، ولا سيما في مقامات التعريض أو التهذيب أو التلميح، وهو ما يجعلها أداة فعّالة في بناء خطاب يجمع بين القوة واللباقة.

وفي ضوء التكامل بين مباحث علم البيان – من تشبيه، ومجاز، واستعارة، وكناية – يتضح أن البلاغة العربية لا تقوم على عناصر متفرقة، بل على نظام متكامل من العلاقات الدلالية، التي تُسهم في بناء المعنى وتوجيهه وفق مقتضى الحال. وهو ما ينسجم مع ما قرّره عبد القاهر الجرجاني من أن سرّ البلاغة كامن في النظم، أي في طريقة ترتيب الكلام والعلاقات التي تربط بين أجزائه.

وعليه، فإن الإلمام بالكناية وأنواعها يُمثّل مرحلة متقدمة في إدراك أسرار البيان العربي، ويُعين الدارس على تحليل النصوص واستكشاف ما تنطوي عليه من دلالات ضمنية، بما يُمكّنه من الانتقال من مستوى الفهم الظاهر إلى مستوى التأويل العميق، الذي يُدرك من خلاله جماليات التعبير العربي في أرقى تجلياته.

تطبيق:

املأ الجدول الآتي بما يناسب:

العبارة	نوع الكناية	المعنى الضاهر	المعنى المقصود	العلاقة
يدك مغلولة إلى عنقك				
تبسطها كل البسط				
صاحب الحوت				
كثير الرماد				.
طويل النجاد				
رفيع العماد				

المحاضرة الثانية عشرة: المطابقة والمقابلة

تُعَدّ المطابقة والمقابلة من أبرز القضايا التي يدرسها علم البديع، وهو العلم الذي يُعنى بتحسين الكلام من حيث وجوهه اللفظية والمعنوية. وتندرج هاتان الظاهرتان ضمن المحسنات المعنوية، لما تُضفيانه على الخطاب من وضوحٍ في المعنى وقوةٍ في التأثير.

وتقوم كلٌّ من المطابقة والمقابلة على إبراز المعاني من خلال نوعٍ من التقابل أو التضاد، بما يُسهم في توضيح الفكرة وتقويتها في ذهن المتلقي.

أولا– المُطابَقة:

تُعَدّ المطابقة من المحسّنات البديعية المعنوية التي تُسهم في تجويد الكلام وتحسينه، من خلال إبراز المعنى وتقويته بأسلوب يقوم على التقابل. وهي لا ترد على صورة واحدة، بل تتنوّع تبعًا لاعتبارات مختلفة تتصل بطبيعة الألفاظ والعلاقات الدلالية بينها.

تعريف المطابقة: للوقوف على مفهوم المطابقة وتحديد دلالتها بدقة، يجدر بنا تناولها من زاويتين متكاملتين: الزاوية اللغوية، ثم الزاوية الاصطلاحية.

أ- **المطابقة لغة:** ورد في تهذيب اللغة أن المطابقة هي: «مصدرُ طابَق يُطابِقُ طِباقًا ومُطابَقةً، مثلُ: قاتَل يُقاتِلُ قِتالًا ومُقاتَلةً، والمطابِقُ من الخيل والإبل: أن يضع الفرسُ رجلَه موضعَ يدِه»[1]. ويُفهم من هذا أن الأصل اللغوي للمطابقة يدلّ على الموافقة والتوافق.

ثم اتسع هذا المعنى ليُستعمل الطباق في معنى الجمع بين الشيئين، فيُقال: طابَقَ فلانٌ بين ثوبين، أي جمع بينهما[2]. وبذلك تدور المطابقة في أصلها اللغوي حول معاني الموافقة والاقتران والجمع بين شيئين.

ب- **المطابقة اصْطِلاحا:** تُعرَّف المطابقة في الاصطلاح بأنها: «الجمع بين الضدّين، أو بين الشيء وضدّه في الكلام أو الشعر، كالجمع بين الأبيض والأسود، والليل والنهار، والحرّ والبرد، والقويّ والضعيف. »[3]، ويُفهم من هذا التعريف أن المطابقة تقوم على إبراز المعنى من خلال التقابل بين الألفاظ المتضادة، بما يُسهم في توضيح الفكرة وتقويتها، وإحداث أثرٍ بيانيّ أوضح في نفس المتلقي.

---

[1] .الأزهري. تهذيب اللغة. ج9. ص30

[2] ينظر: أبو هلال العسكري. كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر. ص307

[3] أبو هلال العسكري. كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر. ص307.

2- أقْسامُ المُطابَقة: تنوّع المطابقة تبعًا لجملة من الاعتبارات هي:

2-1- المطابقة باعتِبارِ اللَّفظِ: تنقسم المطابقة، بحسب طبيعة الألفاظ المتقابلة—من حيث كونها أسماءً أو أفعالًا أو حروفًا—إلى[1]:

أ- مُطابَقةٍ بينَ حَرفَينِ: كقَولِه تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: 286)؛ فإنَّ في الجمْعِ بَيْنَ اللَّامِ و(على) تَضادًّا وطِباقًا؛ فاللَّامُ تأتي للمَنفَعةِ، و(على) تُفيدُ المِضرَّةَ.

ب مُطابَقةٍ بَيْنَ اسْمَينِ: كالجمْعِ بينَ (غَنيٍّ وفَقيرٍ، طَويلٍ وقَصيرٍ،...)، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ (الكهف: 18).

ج- مُطابَقةٍ بينَ فِعلَينِ: كالجمْعِ بينَ: (دخَل وخرَج، يُحبُّ ويَكرَه...)، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ (النجم: 43-44).

د- مُطابَقةٍ بَيْنَ مُختلفَينِ: كالجمْعِ بَيْنَ الاسمِ والفِعلِ في قولِه تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ (الأنعام: 122)؛ فالجمْعُ بَيْنَ الاسمِ "ميّت" والفِعلِ "أحْيينا" تَضادٌّ ومُقابَلةٌ بينَ نوعَينِ مُختلِفَين.

2-2- المُطابَقةُ باعتِبارِ حالِ الضِّدَّينِ: تَنقسِمُ المطابَقةُ باعْتِبارِ حالِ الضِّدَّينِ إلى[2]:

أ- مُطابَقةِ الإيجابِ: هي ما لم يَختلِفْ فيه الضِّدَّان إيجابًا وسَلْبًا، ومنها قولُه تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ (الفرقان: 70)، فالمطابَقةُ بَيْنَ السَّيِّئاتِ والحَسناتِ مُطابَقةٌ بالإيجابِ، وهُو أنَّ الكَلمتَين مُتضادَّتانِ في المعْنى.

ب- مُطابقةِ السَّلْبِ: وهُو أنْ تَظهَرَ المطابَقةُ بَيْنَ اللَّفظَتَينِ باسْتِخدامِ أداةِ النَّفيِ، فيكون أحدُ طَرَفِي المطابَقةِ مُثبَتًا، والآخَرُ مَنفيًّا، كقَولِه تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: 9)؛ فبيْنَ: "يَعلَمون" و"لا يَعلَمون" مُطابَقةٌ بالسَّلبِ، وهِي النَّفيُ بأداةِ النَّفيِ (لا).

ج- إيْهامِ التَّضادِّ: وهُو ما يُوهِمُ أنَّه تَضادٌّ، معَ أنَّه ليس كذلك، كقولِ الشَّاعِرِ:

يُبْدي وِشاحًا أبْيضًا مِنْ سَيْبِه والجوُّ قد لبِسَ الوِشاحَ الأغْبَرا

فإنَّ كَلمةَ (الأغْبَر) قد تُوهِمُ أنَّها ضِدٌّ لكَلمةِ "الأبْيضِ" وليست كذلك.

---

[1] ينظر: بهاء الدين السبكي. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. ج2. ص227، وسعد الدين التفتازاني. مختصر المعاني. ص265.

[2] ينظر: عبد العزيز عتيق. علم البديع. ص79.

ثانيا– المُقابَلة:

تُعَدّ المقابلة من المحسّنات البديعية المعنوية، وتقوم على الجمع بين معنيين متقابلين أو أكثر في تركيبٍ واحد، بحيث يُقابَل كلُّ معنى بما يضادّه أو يعاكسه، فينتج عن ذلك توازنٌ دلالي يُكسب الكلام وضوحًا وقوةً في التعبير.

وتُسهم المقابلة في إبراز الفروق بين المعاني، وتوضيح التناقضات أو التضادات بينها، مما يجعل الخطاب أكثر تأثيرًا في نفس المتلقي وأشدّ رسوخًا في الذهن.

1– تعريف المقابلة: تُعد المقابلة من أهم الآليات البلاغة، التي تُستخدم لإبراز التناقضات، وتعزيز المعاني، سواء في الشعر أو النثر أو الخطابة، ولمعرفة كنه المقابلة؛ جدير بنا التطرق إلى معناها من الناحية اللغوية وكذا الاصطلاحية.

أ- المقابلة لغة: تُشتقّ كلمة المقابلة من الجذر (قابل)، الذي يدلّ في أصل استعماله على المواجهة والمقارنة بين شيئين. فيُقال: قابلَ الشيءَ بالشيء، إذا عارضه به؛ ليتبيّن ما بينهما من تماثلٍ أو تخالف، كما يُقال: قابلَ الرجلُ غيره، أي واجهه[1].

وبذلك تدور المقابلة في معناها اللغوي حول فكرة وضع شيء بإزاء شيء آخر، قصد النظر في أوجه الاتفاق أو الاختلاف بينهما، وهو ما يُمهّد لدلالتها الاصطلاحية في البلاغة.

ب- المقابلة في اصْطِلاحا: حظيت المقابلة باهتمام مبكر لدى البلاغيين، لِما لها من أثرٍ بيّن في الارتقاء بجودة النص وإحكام بنائه، إذ تُسهم—إلى جانب عناصر كحسن النظم وجزالة اللفظ—في إبراز المعاني وتقويتها من خلال تنظيمها في صور متقابلة.

وقد عرّفها (أبو هلال العسكري) بقوله: «إيرادُ الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة»[2]. ويكشف هذا التعريف عن جوهر المقابلة القائم على إقامة توازن دلالي بين أجزاء الخطاب، بحيث يُقابل كل معنى بما يناسبه أو يضادّه.

وعليه، تقوم المقابلة على بناءٍ منسّقٍ للمعاني، يُرتّب فيه المتكلم عناصر كلامه وفق علاقات التوافق أو التضاد، فيُسهم ذلك في توضيح الفكرة، وتعميق أثرها في نفس المتلقي، دون حاجة إلى تكرار أو إطناب مباشر.

---

[1] ينظر: إنعام فوال عكّاوي. المعجم المفصل في علوم البلاغة: البديع والبيان والمعاني. دار الكتب العلمية. لبنان. 1971م، ص655.

[2] أبو هلال العسكري. كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر. ص337.

2– الفرق بين المقابلة والمطابقة: من خلال ما سبق من تعريفات، يتبيّن أن بين المطابقة والمقابلة قدرًا من التقارب؛ حتى إن بعض البلاغيين عدّ المقابلة نوعًا من المطابقة، لكنّ التدقيق يكشف عن فروق دقيقة بينهما، يمكن إجمالها في الآتي[1] :

1 من حيث طبيعة العلاقة بين المعاني: تقتصر المطابقة على الجمع بين الأضداد فقط، في حين تتّسع المقابلة لتشمل الأضداد وغير الأضداد، أي كل ما يقوم على نوع من التقابل أو الموازنة، سواء أكان تضادًا أم توافقًا.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ (التوبة: 67)، حيث قوبل نسيانهم—بمعنى الإعراض—بإهمالهم وتركهم، وهو تقابل في المعنى لا يقوم على تضاد حقيقي، بل على مناسبة دلالية.

2 من حيث عدد الألفاظ المتقابلة: تتحقق المطابقة غالبًا بين لفظين متضادين، أما إذا تعدّد التقابل وتجاوز لفظين، انتقل الأسلوب إلى المقابلة.

ومن ذلك قول النابغة :

فتًى تمَّ فيه ما يسرُّ صديقَه على أنَّ فيه ما يسوءُ الأعاديا

فقد جُمع بين أكثر من تقابل: السرور والإساءة، والصديق والأعداء، مما يُنتج مقابلة لا مجرد مطابقة

وعليه، فالمطابقة تقوم على تضاد بسيط بين لفظين، أما المقابلة فهي أوسع نطاقًا، إذ تقوم على بناء دلالي مركّب يجمع بين معانٍ متعددة، قائمة على التضاد أو غيره من علاقات التقابل، بما يمنح النص ثراءً وعمقًا بلاغيًا.

3– أنواع المقابلة: تَتنوَّعُ المقابَلةُ أنواعًا بحسَبِ عدَدِ الأضْدادِ فيها؛ فمنْها[2]:

أ– مُقابلةُ ضِدَّينِ بضِدَّينِ: ومنْها قولُه تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ (التوبة: 82).

ب– مُقابَلةُ ثَلاثةِ أمُورٍ بثَلاثةِ أمُورٍ: كقَولِه تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (الأعراف: 157)؛ فبيْنَ (يُحِلُّ) و(يُحَرِّمُ) مُطابَقةٌ، وكذلك بينَ (الطَّيِّباتِ) و(الخَبائِثِ)، واللَّامُ في (يحِلُّ لهم) ضِدُّ (على) في (عليهم)؛ فالأُولى للخيْرِ والثَّانيةُ للشَّرِّ.

ج– مُقابَلةُ أرْبعةٍ بأرْبعةٍ: ومثاله قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ (الليل: 5– 10)؛ فجمَع

---

[1] ينظر: بهاء الدين السبكي. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. ج2. ص231، وعبد العزيز عتيق. علم البديع. ص86.

[2] ينظر: عبد المتعال الصعيدي. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة. ج4. ص580.

سُبحانه وتعالى بينَ (الإعْطاءِ والبُخلِ)، وبينَ (التَّقوى والاسْتِغناءِ)، والاسْتِغناءُ هنا نَقيضُ التَّقوى، فهُو بمَعْنى الزُّهدِ عمَّا عندَ اللهِ، أو الاسْتِغناءِ بشَهواتِ الدُّنيا عنِ الجنَّةِ؛ وبينَ (التَّصديقِ والتَّكذيبِ)، وبين (اليُسرى والعُسرى).

د– مُقابلةُ خَمْسةٍ بخَمْسةٍ: ومثاله قول الشَّاعِرِ:

بواطِئٍ فوقَ خدِّ الصُّبحِ مُشتَهِرٍ وطائِرٍ تحتَ ذَيلِ اللَّيلِ مُكتَتِمِ

فجمَع الشَّاعرُ بينَ خمْسةِ أشْياءَ ومُقابِلِها؛ فالوَطءُ يُخالِفُ الطَّيرانَ، و"فوقَ" ضدُّ "تحت"، و"خد" يُخالِفُ "ذَيل" مِن حيثُ العُلوُّ والشَّرفُ؛ والصُّبحُ ضدُّ اللَّيلِ، والمشتَهِرُ ضِدُّ المكتَتِم.

هـ– مُقابلةُ سِتَّةٍ بسِتَّةٍ: ومنه قولُ الشَّاعِرِ:

على رأسِ عبدٍ تاجُ عِزٍّ يزينه وفي رِجْلِ حُرٍّ قَيْدُ ذُلٍّ يَشينُه

فالمقابلةُ هنا بينَ (على وفي)، و(رَأسِ ورِجْلِ)، و(عبْدٍ وحُرٍّ)، و(تاج وقَيْد)، و(عزٍّ وذُلٍّ)، و(يَزينُه ويَشينُه).

وخلاصة القول، يتبيّن أن المطابقة والمقابلة تمثّلان من أبرز تجليات البعد الجمالي في الخطاب العربي، لما تقومان عليه من تنظيمٍ دقيق للعلاقات بين المعاني، قائمٍ على التقابل والتوازن، بما يُسهم في إبراز الفكرة وتقويتها في ذهن المتلقي. ومن ثمّ، فإنهما لا تُفهمان بوصفهما مجرد محسّنات لفظية أو تزيينات شكلية، بل باعتبارهما آليتين بلاغيتين فاعلتين في بناء المعنى وتوجيهه.

وقد أظهر تحليل المطابقة أنها تقوم على الجمع بين الضدّين في إطار دلالي يُبرز التباين ويُوضّح المعنى من خلال التضاد المباشر، في حين كشفت المقابلة عن بنية أوسع وأعمق، تقوم على مقابلة مجموع من المعاني بمقابلاتها، مما يُنتج توازنًا دلاليًا مركّبًا يُكسب الخطاب قوةً ووضوحًا. وهو ما يجعل المقابلة امتدادًا متطورًا للمطابقة، لا مجرد نوعٍ مستقل عنها.

وإذا كانت هذه الظواهر تُصنَّف ضمن علم البديع، فإن قيمتها لا تنفصل عن بقية علوم البلاغة، إذ تتكامل مع علم المعاني في مراعاة مقتضى الحال، ومع علم البيان في تصوير المعاني، لتشكّل جميعها نظامًا متكاملًا يُعنى ببناء الخطاب في أبعاده الدلالية والجمالية.

وفي ضوء نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، يتّضح أن جمال المطابقة والمقابلة لا يكمن في الألفاظ ذاتها، بل في العلاقات التي تُنشئها داخل التركيب، وفي كيفية توزيعها بما يُحقق الانسجام والتوازن بين أجزاء الكلام. ومن ثمّ، فإن البلاغة لا تتحقق بمجرد حضور هذه الأساليب، بل بحسن توظيفها في السياق المناسب.

وعليه، فإن إدراك المطابقة والمقابلة، والتمييز بينهما، يُمثّل مرحلة متقدمة في تكوين الذوق البلاغي لدى الدارس، ويُعينه على تحليل النصوص واستكشاف ما تنطوي عليه من دلالات قائمة على التقابل والتوازن، بما يُفضي إلى فهم أعمق لأسرار التعبير العربي، ويُبرز طاقاته في التأثير والإقناع.

التطبيق الأول:

1 قال تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ سورة الأنعام الآية: 122

2 قال تعالى:﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ سورة الفرقان: 70

3 قال تعالى:﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ سورة التوبة: 67

المطلوب:

1 حدّد نوع المحسّن :مطابقة / مقابلة

2 علّل إجابتك بدقة اعتمادًا على :طبيعة العلاقة (تضاد حقيقي / تقابل دلالي)

3 إن كانت مطابقة :

- حدّد نوعها باعتبار اللفظ (اسمين / فعلين / مختلفين)
- وبيّن نوعها باعتبار الحال (إيجاب / سلب)

4 فسّر الأثر البلاغي مع ربطه بتوضيح المعنى .

التطبيق الثاني:

1. قال تعالى:﴿يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾)سورة الأعراف: 157

2. قال تعالى:﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ سورة الكهف: 18

3. قول الشاعر: بواطئٍ فوق خدّ الصبح منتشرٌ وطائرٍ تحت ذيل الليل مكتتمُ

المطلوب:

1. ميّز بين المطابقة والمقابلة في كل نص.

2. بيّن عدد الألفاظ المتقابلة في كل نص .

3. علّل انتقال الأسلوب من مطابقة إلى مقابلة (إن وُجد) .

4. حدّد نوع المقابلة (عدد العناصر المتقابلة) .

5. اشرح كيف ساهم التقابل في بناء المعنى وتقويته .

التطبيق الثالث:

قال الشاعر: على رأسِ عبدٍ تاجُ عزٍّ يزينه وفي رجلِ حرٍّ قيدُ ذلٍّ يشينه

المطلوب:

1. استخرج جميع عناصر التقابل في البيت .
2. حدّد نوع المحسّن (مطابقة أم مقابلة) مع التعليل .
3. بيّن عدد الأضداد المتقابلة .
4. فسّر نوع المقابلة بدقة (كم عنصرًا يقابل كم عنصر) .
5. حلّل الأثر البلاغي العام للبيت من حيث إبراز المعنى، وتقوية الصورة الذهنية.

المحاضرة الثالثة عشرة: السجع والجناس

يُعَدّ السجع والجناس من المحسّنات البديعية اللفظية في اللغة العربية، إذ يُسهمان في إضفاء طابعٍ جماليّ وإيقاعٍ مميّز على الكلام. وعلى الرغم من اشتراكهما في اعتماد نوعٍ من التشابه الصوتي، فإن كلاً منهما يقوم على أساسٍ خاص يميّزه من حيث التعريف وطريقة الاستعمال.

فالسجع يتصل بتوافق أواخر الجمل في الحروف أو المقاطع الصوتية، بينما يقوم الجناس على تشابه الألفاظ في النطق مع اختلافها في المعنى، مما يُنتج أثرًا بلاغيًا قائمًا على التلاعب اللفظي والدلالي.

أولا– السجع:

يُعَدّ السجع من المحسّنات البديعية اللفظية في اللغة العربية، ويقوم على توافق أواخر الجمل أو العبارات في الحرف الأخير أو في البنية الصوتية، بحيث يحدث نوع من التماثل الإيقاعي بينها.

وبعبارة أدق، يتحقق السجع عندما تنتهي الجمل أو الفواصل بألفاظ متشابهة في الصوت أو الوزن، وهو ما يُكسب الكلام نغمةً موسيقيةً واضحة، ويُضفي عليه طابعًا جماليًا يُعزّز تأثيره في المتلقي.

1-**تعريف السجع**: للوقوف على حقيقة السجع وضبط مفهومه بدقة، يجدر بنا تناوله من زاويتين متكاملتين: الزاوية اللغوية، ثم الزاوية الاصطلاحية.

أ- **السجع في اللغة**: ورد في لسان العرب أن السجع هو: " الكَلامُ المقَفَّى، والجمع أَسجاع وأَساجِيعُ، وكلام مُسَجَّع"[1]، وهو ما يُشير إلى ارتباطه بتوافق أواخر الكلام وانتظامها صوتيًا.

كما بيّن مرتضى الزبيدي أن السجع يُستعمل للدلالة على ما ينتظم من الكلام في نسقٍ تتآلف فيه أواخر الكلمات، على نحوٍ يُشبه انتظام القوافي في الشعر، حيث تتوافق الفواصل في بنية صوتية واحدة تُكسب الكلام إيقاعًا خاصًا[2].

وعليه، يتّضح أن السجع في معناه اللغوي يدور حول اتساق أواخر الألفاظ وتوافقها في نسق صوتي منتظم، وهو ما يمهّد لمفهومه الاصطلاحي في البلاغة.

---

[1] ابن منظور. لسان العرب. ج8. ص150. مادة (سَجَعَ).

[2] ينظر: مرتضى الزَّبيدي. تاج العروس. ج11. ص ص202، 203.

ب- **السجع في الاصطلاح:** عرَّف السجع بأنه: " توافق الفاصلتين في النثر على حرف واحد في الآخر، الفاصلة هي الكلمة التي في آخر الفقرة بمنزلة القافية في البيت"[1]، ويُفهم من هذا التعريف أن السجع يقوم على انتظام أواخر الجمل في نسقٍ صوتيٍّ يُكسب الكلام إيقاعًا مميّزًا.

إلاّ أنّ هذا التحديد، على وجازته، لا يستوعب القيمة البلاغية للسجع؛ إذ لا يُنظر إليه باعتباره مجرد تماثل صوتي، بل بوصفه وسيلة فنية مشروطة بخدمة المعنى .ومن ثمّ، فإنّ جودة السجع لا تُقاس بحضور التوافق الصوتي فحسب، بل بمدى انسجامه مع الدلالة وعدم تعارضه معها، ويُؤكِّد هذا التوجّه ما قرّره عبد القاهر الجرجاني إذ يقول "ولن تجِدَ أيمَنَ طائرًا، وأحسَنَ أوَّلًا وآخِرًا، وأهدى إلى الإحسانِ، وأجلَبَ للاستِحْسانِ؛ مِن أن تُرسِلَ المعانيَ على سَجِيَّتِها، وتَدَعَها تَطلُبُ لأنفُسِها الألفاظَ؛ فإنَّها إذا تُرِكَت وما تُريدُ لم تَكْتَسِ إلَّا ما يَليقُ بها، ولم تَلْبَسْ مِنَ المعارِضِ إلَّا ما يَزِينُها، فأمَّا أن تَضَعَ في نفْسِك أنَّه لا بُدَّ مِن أن تجَنِّسَ أو تَسجَعَ بلَفظَينِ مخصوصَينِ، فهو الَّذي أنت منه بعَرَضِ الاستِكْراهِ، وعلى خَطَرٍ مِنَ الخطَأِ والوُقوعِ في الذَّمِّ"[2]

وفي هذا الإطار، يتبيّن أن السجع يكون محمودًا إذا جاء عفوًا من غير تكلّف، تابعًا للمعنى لا متقدّمًا عليه، بحيث تتآلف الفواصل دون إخلالٍ بالسياق. أمّا إذا أُقحم إقحامًا، أو أفضى إلى ضعف المعنى أو اضطرابه، فإنه يفقد قيمته البلاغية ويغدو موضع نقد.

وعليه، فإن السجع البليغ هو ما تحقّق فيه التوازن بين الإيقاع اللفظي والدقة الدلالية، بحيث تتساند العناصر الصوتية والمعنوية في بناءٍ واحدٍ يحقق التأثير والجمال معًا.

2-**حُسْنُ السَّجْعِ وقُبْحُه:** لا يُحكم على السجع بالحُسن لمجرّد توافق الفواصل، بل إنّ معياره الحقيقي يتمثّل في مدى خدمته للمعنى وانسجامه معه؛ إذ الأصل أن تكون الألفاظ تابعةً للمعاني، لا موجِّهةً لها. وعلى هذا الأساس، تتحدد شروط السجع المقبول فيما يأتي[3]:

- **تقديم المعنى على اللفظ:** ينبغي أن يكون المعنى هو المقصود أولًا، ثم تأتي الألفاظ مُنسابةً لخدمته. فإذا انصرف القصد إلى تحقيق السجع في ذاته، جاءت العبارة ضعيفة باردة، فاقدة لقيمتها البلاغية.

---

[1] عبد الرحمن بن محمر الأخضري. الجوهر المكنون. مركز البصائر للبحث العلمي. ص126.

[2] عبد القاهر الجرجاني. أسرار البلاغة. ص14.

[3] يُنظر: ابن الأثير. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ج1. ص197، والقلقشندي. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. ج2. ص314.

- **السلامة من التكلّف والتعسّف:** يُستحسن السجع إذا صدر عن الطبع وجاء عفوًا، دون تصنّع أو إكراه. أمّا إذا استدعى زيادةً أو نقصًا لا يقتضيه المعنى، فإنّه يتحوّل إلى عيبٍ يُنقِص من جودة الكلام.
- **تنوّع المعاني بين الفواصل:** يشترط في الفقرات المسجوعة أن تحمل معاني متجددة غير مكرّرة، حتى لا ينقلب السجع إلى حشوٍ أو تطويلٍ مذموم، بل يظل عنصرًا يُثري الدلالة ويُنمّيها.
- **الاعتدال في طول الفواصل:** الأفضل أن تكون الفواصل موجزة غير مطوّلة؛ لأن الإطالة تُثقِل العبارة، وتُلزم المتكلم بمراعاة السجع على حساب المعنى، مما يُضعف الأثر البلاغي.
- **تحقيق التوازن الصوتي دون إفراط:** إذا طالت الفقرات، استُحسن أن يظهر فيها نوع من التناسق الداخلي، غير أن هذا ينبغي أن يظل خاضعًا للمعنى، لا أن يتحوّل إلى غاية مستقلة تُربك البناء.

ومنه نخلص إلى أنّ السجع البليغ هو ما جاء طبيعيًا منسجمًا مع المعنى، قائمًا على الاعتدال والتوازن؛ فإذا فقد هذه الشروط، انقلب من عنصر جمالي إلى موطن ضعف في التعبير.

3– أقسامُ السَّجْعِ: ينقَسِمُ السَّجْعُ مِن حَيثُ طُولُ فِقراتِه وقِصَرُها إلى نَوعَينِ[1]:

– السَّجْعُ القَصيرُ: وهو أن تكونَ كُلُّ فِقْرةٍ مِن فِقْراتِ السَّجْعِ مُؤَلَّفةً مِن كَلِماتٍ قَليلةٍ، وكُلَّما قلَّتِ الألفاظُ كان ذلك أحسَنَ؛ لقُربِ الفواصِلِ المسجوعةِ مِن سَمعِ السَّامِعِ،

ومِثالُ ذلك قَولُه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ (المدثر: 1-5).

– السَّجْعُ الطَّويلُ: وهو ما زادت كَلِماتُ كُلِّ فِقْرةٍ فيه على عَشْرِ كَلِماتٍ، مِثلُ قَولِه تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ (هود: 9، 10)،.

4– مَراتِبُ السَّجْعِ: يَنقَسِمُ السَّجْعُ بحَسَبِ اختِلافِ فِقْراتِه في الطُّولِ إلى[2]:

– سَجعٍ مُتساوي الفِقْراتِ: تتساوى فيه الفِقْراتُ في الطُّولِ، لا تَزيدُ إحَداهما على الأخْرى. وهو أفضَلُ أنواعِ السَّجْعِ للاعتِدالِ الَّذي فيه، مِثلُ قَولِه تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا

---

[1] يُنظر: لابن الأثير. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ج1. ص235، والقلقشندي. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. ج2. ص308.

[2] ينظر: لابن الأثير. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ج1. ص233.

فَأَغْنَى فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (الضحى: 7-10)؛ فالآيتانِ الأُولَيانِ كُلُّ واحِدةٍ منهما تشتَمِلُ على ثلاثِ كَلِماتٍ ولها سَجعٌ واحِدٌ، والآيتانِ الأُخْرَيانِ كُلُّ واحِدةٍ فيهما من أربَعِ كَلِماتٍ، ولها سَجعٌ واحِدٌ.

– سَجْعٍ فِقْرتُه الثَّانيةُ أطوَلُ مِنَ الأُولى قَليلًا: فإنَّه لو طالت جِدًّا لخرج ذلك عن السَّجْعِ الحَسَنِ، ولكان مُستَكرَهًا وعَيبًا. ومِن أمثِلةِ ما جاءت الفِقْرةُ الثَّانيةُ أطوَلَ بقَليلٍ مِنَ الأُولى قَولُه تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ (الفرقان: 11-13)؛ فالآيةُ الأُولى جاءت في ثماني كَلِماتٍ، في حينِ جاءت الثَّانيةُ والثَّالِثةُ على تِسْعِ كَلِماتٍ في كُلِّ واحِدةٍ.

– سَجْعٍ فِقْرَتُه الأُولى أطوَلُ مِنَ الثَّانيةِ: ذهب أكثَرُ العُلَماءِ إلى قُبحِه، وسَبَبُ ذلك أنَّ السَّجْعَ يكونُ قد استوفى أمَدَه مِنَ الفَصْلِ الأوَّلِ بحُكمِ طُولِه، ثُمَّ يجيءُ الفَصْلُ الثَّاني قَصيرًا عن الأوَّلِ، فيكونُ كالشَّيءِ المبتورِ، فيَبقى الإنسانُ عِنْدَ سَماعِه كمَن يُريدُ الانتِهاءَ إلى غايةٍ فيَعثُرُ دونَها. وذهب أبو هِلالٍ العَسْكَريُّ إلى تحسينِه، بدعوى أنَّه وقع في القُرآنِ الكريمِ منه، كقَولِه تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (الأنفال: 43-44) ؛ فالآيةُ الأُولى عِشْرونَ كَلِمةً، والثَّانيةُ تِسْعَ عَشْرةَ كَلِمةً.

ثانيا– الجناس:

من المحسّنات البديعية اللفظية، ويقوم على تشابه الألفاظ في البنية الصوتية مع اختلافها في المعنى، وهو ما يُكسب التعبير طابعًا فنيًا قائمًا على حسن توظيف الألفاظ وتقابل دلالاتها.

فالجناس، في جوهره، ليس مجرد تماثلٍ صوتيّ، بل هو أسلوب بلاغي يُعتمد فيه على التقارب اللفظي لإحداث نوعٍ من التفاعل الدلالي، بحيث تتجاور الكلمات المتشابهة في النطق، المختلفة في المعنى، فتُسهم في إغناء النص وإضفاء جمالية عليه.

1-**تعريف الجناس:** للوقوف على حقيقة الجناس وضبط مفهومه بدقة، يجدر بنا تناوله من زاويتين متكاملتين: الزاوية اللغوية، ثم الزاوية الاصطلاحية.

أ- **الجناس في اللغة:** ورد في لسان العرب أن مادة (ج ن س) تدلّ على معنى الضرب والنوع من الشيء، حيث جاء: «الجنس: الضرب من كل شيء... ومنه المجانسة والتجنيس، ويُقال: هذا

يُجانس هذا؛ أي يشاكله»[1]. ويُفهم من ذلك أن الجذر اللغوي يرتبط بدلالة المشاكلة والمماثلة بين الأشياء.

وعليه، فإن لفظ الجنس في الاستعمال اللغوي يدلّ على التقارب والتشابه والانتماء إلى أصلٍ واحد، وهو ما يُمهّد لمفهوم الجناس في الاصطلاح البلاغي، حيث يقوم على نوعٍ من التشابه بين الألفاظ.

ب- **الجناس في الاصطلاح**: يُعرَّف الجناس بأنه: «تشابه الكلمات في تأليف حروفها»[2]، وهو تعريف يُركّز على البنية اللفظية، دون أن يُفصح صراحةً عن طبيعة العلاقة بين معاني هذه الألفاظ.

إلاّ أنّ هذا التحديد يظلّ عامًا، لذلك اتجه البلاغيون إلى ضبط المفهوم بدقة أكبر، فبيّنوا أن الجناس يقوم على تشابه اللفظين في النطق مع اختلافهما في المعنى[3]، وبذلك يتحقق فيه الجمع بين التماثل الصوتي والتغاير الدلالي.

وعليه، فإن الجناس أسلوب بلاغيّ يقوم على إيراد لفظين متشابهين في صورتهما الصوتية، مختلفين في دلالتهما، بما يُكسب التعبير طرافةً وجمالًا، ويُسهم في تعميق المعنى وإبرازه.

2- أنواع الجناس: يُقسَّم الجناس إلى نوعين هما:

2-1- الجناس التام: وهو ما اتَّفَق فيه اللَّفظانِ في أرْبعةِ أمورٍ: أنْواعِ الحُروفِ، وأعْدادِها، وهَيئتِها الحاصِلةِ مِنَ الحَركاتِ والسَّكَناتِ، وتَرتيبِ تلك الحُروفِ، مثل قولُه تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (النور: 43-44)؛ ففي الآيَتَينِ تَكرَّرتْ كَلمةُ (الأبْصار) في الموضِعَينِ، إلَّا أنَّ المعْنى اخْتَلف في كلٍّ؛ ففي الأُولى المرادُ بالأبْصارِ جَمْعُ بَصَرٍ، وهُو النَّظرُ، وفي الثَّانيةِ الأبْصارُ جَمْعُ بَصَرٍ أيضًا، والمرادُ العِلْمُ والعقْلُ؛ فأولو الأبْصارِ هم أصْحابُ العِلْمِ والعَقْلِ.

ويَنْقسِمُ هذا الجِناسُ إلى أنْواعٍ[4]:

---

[1] ابن منظور. لسان العرب. ج3. مادة (جنس). ص215.

[2] عبد العزيز عتيق. في البلاغة العربية. ص196.

[3] ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف. نحو بلاغة جديدة. مكتبة غريب. ص160.

[4] ينظر: الهاشمي. جواهر البلاغة. ص325، وينظر: عبد العزيز عتيق. علم البديع. ص195.

أ- الجِناسُ المُماثِلُ: وهُو ما كان اللَّفظانِ مِن نَوعٍ واحِدٍ مِن أنْواعِ الكَلمةِ، أيْ: اسْمانِ أو فِعْلانِ أو حَرْفانِ.

كقَولِه تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ (الروم: 55)؛ فالسَّاعةُ الأُولى هي القِيامةُ، والسَّاعةُ الأخْرى ساعةٌ مِنَ الوقْتِ، أيْ: مِقدارٌ يَسيرٌ منه، وكِلا الكَلمَتَينِ اسمٌ.

ب- الجِناسُ المُسْتَوفَى: وهُو ما كان بينَ اللَّفظَينِ اخْتِلافٌ في النَّوعِ، وله ثَلاثُ صُوَرٍ[1]:

أنْ يكونَ أحدُهما اسمًا والآخَرُ فِعْلًا، كقولِ أبي تَمَّامٍ:

ما مات مِنَ كَرمِ الزَّمانِ فإنَّه يَحيا لدى يَحيى بنِ عبدِ اللهِ

فبينَ "يَحْيا" و"يَحْيى" جِناسٌ تامٌّ، غيرَ أنَّ الكَلمةَ الأُولى فِعلٌ بمَعْنى يَعيشُ، والثَّانيةَ اسمُ علَمٍ.

أنْ يكونَ أحدُهما فِعلًا والآخَرُ حرْفًا كقولِ الشَّاعِرِ:

عَلا نجْمُه في عالَمِ الشِّعْرِ فجأةً على أنَّه ما زالَ في الشِّعْرِ شادِيا

فالجِناسُ بينَ "عَلا" و"عَلى"؛ الأُولى فِعلٌ ماضٍ مِنَ العُلوِّ، والثَّانيةُ حرْفُ جرٍّ.

أنْ يكونَ أحدُهما اسمًا والآخَرُ حرْفًا، كقولِك: "رُبَّ رجُلٍ شَرِب رُبَّ رَجُلٍ آخَرَ" فكَلمةُ "رُبَّ" الأُولى حرْفُ جرٍّ، و"رُبَّ" الثَّانيةُ مَعْناها عَصيرُ العِنَبِ.

ج- الجِناسُ المُرَكَّبُ: وهُو ما كان أحدُ الطَّرفَينِ مُكوَّنًا مِن غيرِ كَلمةٍ، وهو أنْواعٌ[2]:

الجِناسُ المُتَشابِهُ أوِ المَقْرونُ: وهُو ما تَشابَهَ رُكناه لفْظًا وخَطًّا، كقولِ الشَّاعِرِ: المتقارب

إذا مَلِكٌ لم يكُنْ ذا هِبَةْ فَدَعْهُ فدَوْلتُه ذاهِبَةْ

فالجِناسُ واقِعٌ بينَ "ذا هِبَة" و"ذاهِبَة"، الأُولى مُكوَّنةٌ مِن كَلمتَينِ، والثَّانيةُ مِن كَلمةٍ واحِدةٍ، وقد اتَّفقا في الصُّورةِ والرَّسمِ.

الجِناسُ المَفروقُ: وهُو ما اتَّفقَ رُكناه لفْظًا لا خَطًّا، كقولِ الشَّاعِرِ:

وإن أقرَّ على رقٍّ أنامِلَه أقرَّ بالرِّقِّ كُتَّابُ الأنامِ لهُ

فالجِناسُ بينَ "أنامِلَه" و"الأنامِ له"، وقدِ اخْتَلف بينَهما رسْمُ الميمِ بعدَ فصْلِها عنِ اللَّامِ في الثَّانيةِ.

الجِناسُ المَرفُوُّ: وهُو ما كان أحدُ الرُّكنَينِ كَلمةً واحِدةً، والآخَرُ كَلمةً وبعضَ كَلمةٍ أخْرى[3]، كقولِ الحَريريِّ:

---

[1] ينظر: الهاشمي. جواهر البلاغة. ص325، وعبد العزيز عتيق. علم البديع. ص195.

[2] ينظر: عبد العزيز عتيق. علم البديع. ص195.

[3] ينظر: الهاشمي. جواهر البلاغة. ص325،

والمَكْرُ مَهْما اسْطعْتَ لا تأته لتقتني السُّؤدُدَ والمَكْرُمَهْ

فالجِناسُ بينَ كَلمةِ "المِكْرُمَه" في قافيةِ البيْتِ، وبينَ "المِكْرُ مَهْ"، وهِي كَلمةُ "المِكْرِ" معَ شطْرِ كَلمةِ "مَهْما"؛ فاتَّفَق الرُّكنانِ لفْظًا، وأَحَدُهما كَلمةٌ، والآخَرُ كَلمةٌ وبعضُ كَلمةٍ.

الجِناسُ المُلفَّقُ: وهُو ما كان طَرَفاه مُرَكَّبَينِ مِن كَلمتَينِ، أو كَلمةٍ وبعضِ الأخْرى.

مثل قولُ الشَّاعِرِ:

إلى حَتْفي سعَى قدمي أرى قَدَمي أرَاقَ دَمِي

فما أنْفكُّ مِن نَدَمٍ وهانَ دَمي فها نَدَمي

فالجِناسُ في البيتِ الأوَّلِ بينَ "أرَى قَدَمي" و"أرَاقَ دَمِي"؛ بمعنى حاصِلُ التَّركيبِ في الطَّرفَينِ يُعْطي نفْسَ النُّطقِ معَ اتِّفاقِ الحَرَكاتِ والسَّكَناتِ والمدودِ، وفي البيتِ الثَّاني بينَ "هانَ دَمي" وبينَ "ها نَدَمي"، وكِلاهما مُرَكَّبانِ مِن كَلمتَينِ.

2-2- الجِناسُ غيرُ التَّامِّ: وهُو ما اخْتَلف فيه اللَّفْظانِ في واحِدٍ مِن أرْبعةِ أمورٍ: أنْواعِ الحُروفِ، وأعْدادِها، وهَيئتِها الحاصِلةِ مِنَ الحَرَكاتِ، والسَّكَناتِ والنَّقْطِ، وتَرتيبِ تلك الحُروفِ، ولبَيانِ ذلك نُفرِدُ كلَّ قسْمٍ مِنَ الأرْبعةِ[1]:

أ- الأوَّلُ: اخْتِلافُ اللَّفْظَينِ في أنْواعِ الحُروفِ: وذلك بأنْ يَخْتلفَ اللَّفظانِ في حرْفٍ واحِدٍ منْهما، وهُو على نَوعَينِ:

- الجِناسُ المُضارِعُ: وهُو أنْ يكونَ الحَرْفانِ المخْتلفانِ مُتَقارِبَينِ في المخرَجِ، كقَولِه تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ (الأنعام: 26)؛ فالجِناسُ بينَ كَلمتَي: "يَنْهَونَ" و"يَنْأَون"، والاخْتِلافُ بينَهما في الهاءِ والهَمْزةِ، وهُما متَّحدا المخرَجِ.

- الجِناسُ اللَّاحِقُ: وهُو أنْ يكونَ الحرْفانِ المخْتلفانِ غيرَ مُتقارِبَينِ في المخرَجِ، كقَولِه تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (العاديات: 7-8)؛ فالجِناسُ بينَ "شَهيد" و"شَديد"، والاخْتِلافُ بينَهما في الهاءِ والدَّالِ، وهُما غيرُ مُتقارِبَينِ في المخرَجِ.

ب- الثاني: اخْتِلافُ اللَّفظَينِ في أعْدادِ الحُروفِ: ويُسمَّى بالجِناسِ النَّاقِصِ؛ لأنَّ أحدَ رُكنَيه يَنقُصُ في عدَدِ الحُروفِ عنِ الآخَرِ. وهُو نَوعانِ[2]:

---

[1] ينظر: عبد العزيز عتيق، علم البديع. ص205.

[2] ينظر: المراغي، علوم البلاغة. ص355.

– ما كان النُّقصانُ والزّيادةُ في حرْفٍ واحِدٍ: سواءٌ كانتِ الزّيادةُ في أوّلِه، كقولِه تعالى: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ (القيامة: 29–30)، بزيادةِ الميمِ في "المساقِ" دُونَ كَلمةِ "السَّاقِ"، أو كانتِ الزّيادةُ في وسَطِه، كقولِهم: (جَدّي جَهْدي)؛ بزيادةِ الهاءِ في وسَطِ الكَلمةِ الثّانيةِ، بغَضّ النَّظرِ عن تَشديدِ الدّالِ في الكَلمةِ الأُولى. ومنه كذلك قولُك: (المِجْنونُ مَنْ لا يَصحو حتّى يَنزِلَ به المِنونُ)، أو كانتِ الزّيادةُ في آخِرِه، كقولِ الشّاعِرِ:

فتَنَفَّستْ صُعَدًا وقالتْ ما الهوى إلا الهَوانُ فزَال عنهُ النُّونُ

فالجِناسُ بينَ كَلمتَي الهَوى والهَوانِ، والاخْتِلافُ بينَهما في زِيادةِ النُّونِ في آخِرِ الكَلمةِ الأخيرَةِ.

– ما كان الزّيادةُ والنُّقصانُ في حرْفَينِ، ويقعُ في آخِرِ إحْدى الكَلمتَينِ، ويُقالُ له: الجِناسُ المذَيَّلُ، كقولِ النّابِغةِ:

لهم نارُ جِنٍّ بعد أنْسٍ تَحوَّلوا وزالَ بهم صرْفُ النَّوى والنَّوائِبِ

فالجِناسُ واقِعٌ بينَ قولِه: "النَّوى" و"النَّوائِب"، والزّيادةُ في الهَمْزةِ والباءِ في آخِرِ الكَلمةِ الأخيرَةِ.

ج– الثّالثُ: اخْتِلافُ اللَّفظَينِ في هَيئةِ الحُروفِ مِنَ الحَركاتِ والسَّكَناتِ والنَّقْطِ، وهُو على نَوعَينِ[1]:

– الجِناسُ المُحرَّفُ: وهُو ما كان بينَ اللَّفظَينِ اخْتِلافٌ في الحَركاتِ والسَّكَناتِ فحسْبُ، كقَولِه تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (الصافات: 72–73)؛ فالخِلافُ في فاصِلَتَي الآيتَينِ في حرَكةِ الدّالِ؛ ففي الآيةِ الأُولى وقَعت الدّالُ مَكْسورةً، وفي الأخرى وقَعتْ مَفْتوحةً. والكَلمتانِ وإن كانتا مِن جذْرٍ واحِدٍ فبينَهما اخْتِلافٌ في المعْنى؛ فالأُولى اسمُ فاعِلٍ بمَعْنى: أرْسَلنا إليهم رُسُلًا يُنْذِرونَهم، والأخرى اسمُ مَفْعولٍ بمَعْنى: الّذين أُرْسِلَ إليهم مَنْ يُنذِرُهم.

– الجِناسُ المُصَحَّفُ: وهُو ما اتَّفَق فيه رُكنا الجِناسِ في عدَدِ الحُروفِ وحَركاتِها، واخْتَلفا في النَّقْطِ فحسْبُ[2]، كقَولِه تعالى: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (الشعراء: 79–80)؛ فبيْنَ "يَسْقين" و"يَشْفين" جِناسُ تَصْحيفٍ؛ فحَركاتُ الحُروفِ واحِدةٌ في الكَلمتَينِ، لكنَّ النَّقْطَ في السِّينِ والشِّينِ اخْتَلفَ، كذلك نَقْطُ القافِ والفاءِ.

---

[1] ينظر: عبد العزيز عتيق، علم البديع. ص205.

[2] ينظر: للمراغي، علوم البلاغة. ص355.

د– الرَّابعُ: اخْتِلافُ اللَّفظَينِ في تَرتيبِ الحُروفِ، وهُو أنْ يتَّفقَ طرفا الجِناسِ في الحُروفِ والنَّقْطِ، ويَخْتلفا في تَرتيبِ الحُروفِ. ويُسمَّى هذا النَّوعُ جِناسَ القَلْبِ، وجِناسَ العكْسِ، وهو أنْواعٌ[1]:

– **قَلْبُ كلٍّ**: وهُو أن يكونَ أحدُ الحَرفَينِ عكْسَ الآخَرِ في تَرتيبِ حُروفِه كلِّها، كقولِ الشَّاعِرِ:

حُسامُك فيه للأحْبابِ فتحو رمحك فيه للأعْداءِ حَتْفُ

فبينَ الفَتْحِ والحَتْفِ جِناسٌ بالقَلْبِ في تَرتيبِ الحُروفِ.

– **قلبُ بعضٍ**: وهُو اخْتِلافُ اللَّفظَينِ في تَرتيبِ بعضِ الحُروفِ، كقولِ الشَّاعِرِ: الخفيف:

إنَّ بينَ الضُّلوعِ منِّيَ نارًا تَتلظَّى فكيفَ لي أنْ أُطِيقا

فبِحقِّي عليكَ يا مَنْ سَقانيأ رَحيقًا سقَيتَني أم حَريقا

فبيْنَ الرَّحيقِ والحَريقِ جِناسٌ بقلْبِ بعضِ الحُروفِ؛ حيثُ تَبدَّلَ تَرتيبُ الرَّاءِ والحاءِ في الموضِعَينِ.

– **قلْبٌ مُجنَّحٌ**: وهُو أن يكونَ أحدُ اللَّفظَينِ اللَّذينِ وقَع بينَهما القلْبُ في أوَّلِ البيتِ والثَّاني في آخِرِه، كأنَّهما جَناحانِ للبيتِ، كقولِ الشَّاعِرِ:

ساقٍ يُريني قلْبُه قَسْوةً وكلُّ ساقٍ قلْبُه قاسِ

فالجِناسُ حاصِلٌ بينَ كَلمةِ "ساقٍ" الَّتي في أوَّلِ البيتِ، وبينَ كَلمةِ "قاسِ" في آخِرِه، والقلْبُ الحاصِلُ بينَهما قلبٌ كُلِّيٌّ، لكنْ وقَع أحدُهما في أوَّلِ البيتِ، والثَّاني في آخِرِه.

– **قلبٌ مُسْتوٍ**: وهُو أن يكونَ عكْسُ لفظَيِ الجِناسِ كطَرْدِهما، بمَعْنى أنَّه يُقرأ مِنَ الشِّمالِ إلى اليَمينِ كما يُقرأ مِنَ اليَمينِ إلى الشِّمالِ مِن غيرِ فرْقٍ. ويُقالُ له: ما لا يَسْتحيلُ بالانْعِكاسِ[2]، كقَولِه تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ (الأنبياء: 33).

2–3– ما يَلحَقُ بالجِناسِ: اشتَرطَ البَلاغيُّونَ في الجِناسِ ألَّا يكونَ بينَ الكَلمتَينِ اتِّفاقٌ في المعْنى، وَيدخُلُ في الاتِّفاقِ في المعْنى الاتِّفاقُ في جذْرِ الكَلمةِ؛ فإذا كان الجذْرُ واحِدًا كان بينَ الكَلمتَينِ تَقارُبٌ في المعْنى؛ ولهذا ألحقوا بالجِناس شَيئَينِ[3]:

---

[1] ينظر: عبد العزيز عتيق. علم البديع. ص205.

[2] ينظر: المراغي، علوم البلاغة. ص355.

[3] ينظر: بهاء الدين السبكي. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. ج2. ص291، وعبد المتعال الصعيدي. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة. ج4. ص647.

أ– جِناسَ الاشْتِقاقِ: وهُو ما كان بينَ الكَلمتَينِ اتفِّاقٌ في الجذْرِ، مِن غيرِ أن يتَّفقَ المعْنى، كقَولِه تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ (الروم: 43)؛ فبيْنَ كَلمةِ "أقِمْ" وبينَ "القيِّم" اتِّفاقٌ في الجذْرِ؛ فإنَّهما مِن مادَّةِ "ق وم".

ب– ما يُشبِهُ الاشْتِقاقَ: وهُو أن يكونَ بَيْنَ اللَّفظَينِ ما يُشبِهُ الاتِّفاقَ في الجذْرِ وليس كذلك؛ كقَولِه تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ (الشعراء: 168)؛ فـ"قال" مِنَ القولِ، و"القالِين" يَعْني الكارِهين، الأُولى مِن مادَّةِ (ق ول)، والثَّانية مِن (ق ل ي)، لكنَّ النَّاظِرَ والسَّامِعَ يَحسَبُ للوَهْلةِ الأُولى أنَّهما مِن أصلٍ واحِدٍ.

وخلاصة القول، يتبيّن أن السجع والجناس يمثّلان من أبرز تجليات البعد الصوتي في البلاغة العربية، إذ يقومان على توظيف التشابه الإيقاعي واللفظي في خدمة المعنى، بما يُكسب الخطاب بعدًا جماليًا يُعزّز تأثيره في المتلقي. غير أنّ قيمتهما البلاغية لا تتحقق بمجرد هذا التماثل الصوتي، بل بما يترتب عليه من انسجامٍ بين اللفظ والمعنى، وتكاملٍ بين الإيقاع والدلالة.

وقد أظهر تحليل السجع أنه يقوم على تنظيم الفواصل في نسق صوتي متوازن، يُحدث إيقاعًا يُقوّي حضور المعنى ويُرسّخه، شريطة أن يأتي عفوًا غير متكلّف، تابعًا للمعنى لا متقدّمًا عليه. كما كشف الجناس عن بُعدٍ أدقّ، يتمثل في التلاقي الصوتي بين الألفاظ مع اختلاف دلالاتها، مما يُنتج نوعًا من التفاعل الدلالي الذي يُثري النص ويُكسبه طرافةً وعمقًا.

وإذا كانت هذه الظواهر تُدرج ضمن المحسّنات اللفظية، فإنها لا تنفصل عن البنية العامة للخطاب، بل تتكامل مع المعاني والبيان في بناء دلالة متماسكة، تُراعي مقتضى الحال، وتُحقق الغرض البلاغي. وهو ما يؤكّد أن البلاغة العربية، في جوهرها، ليست تجميعًا لأساليب متفرقة، بل نظامٌ متكامل تتساند فيه العناصر الصوتية والدلالية والتركيبية.

وعليه، فإن الإلمام بهذه المحسّنات، وضبط شروط حسنها وقبحها، يُمثّل مرحلة متقدمة في تكوين الذوق البلاغي، ويُعين الدارس على إدراك أبعاد النصوص الأدبية وتحليلها تحليلًا يكشف عن جمالياتها الصوتية والدلالية معًا .

تطبيق1: استخرج فيما يأتي المحسن البديعي و بيّن نوعه وأثره البلاغي:

1 قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ سورة الضحى الأية8/7

2 قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ الأنعام الآية 26

3 قول الشاعر: إذا مَلِكٌ لم يكُ ذا هِبَةٍ فَدَعْهُ فدولتُه ذاهِبَةٌ

تطبيق 2:

1 قال تعالى: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ سورة النور الآية 44

2 تعالى: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ سورة القيامة الآية29

3 قال تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ سورة الضحى الآية 10

4 قول الحريري: والمكرُ مهما استطعتَ لا تأته لتقتني السؤددَ والمكرُمةَ

المطلوب: املأ الجدول الآتي:

المحسن	نوعه بالتفصيل	أثره البلاغي

المحاضرة الرابعة عشرة: أسلوب القصر

يعَدّ أسلوب القصر من الأساليب البلاغية التي تُوظَّف لتوكيد المعنى وتخصيصه، وذلك من خلال حصر الحكم في أمرٍ معيّن ونفيه عمّا سواه، فيتحقق بذلك نوع من التحديد والتأكيد يُكسب الكلام قوةً ووضوحًا.

فالقصر، في جوهره، ليس مجرد إخبار، بل هو بناءٌ بلاغي يقوم على إثبات معنى لشيءٍ معيّن مع نفيه عن غيره، وهو ما يجعله من الأساليب المؤثرة في توجيه دلالة الخطاب وترسيخها في ذهن المتلقي.

ونظرًا لتعدد طرائق التعبير عن هذا الحصر، فقد ورد أسلوب القصر في صيغ مختلفة، تختلف باختلاف التركيب والسياق.

أولا– تعريف القصر:

لإدراك مفهوم القصر على نحوٍ دقيق، لا بد من تناوله من جانبين متكاملين: الجانب اللغوي، ثم الجانب الاصطلاحي.

1– القصر في اللغة: ورد في لسان العرب أن القصر يدلّ على معنى النقصان ومقابلة الطول، إذ جاء أنَّ "قصر الشيء بالضم يقصر قصرا: خلاف طال، وقصرت من الصلاة أقصر قصرا. والقصير: خلاف الطويل"[1]

وأشار الزبيدي إلى أن القصر—بالفتح أو بالكسر—يدور في الاستعمال اللغوي حول معنى مقابلة الطول، مع دلالة أخرى هي الحبس والمنع.[2].

وعليه، فإن القصر في أصله اللغوي يُفيد الحبس والإلزام والتقييد؛ فيُقال: قصرتُ نفسي على الشيء، إذا حبستها عليه وألزمتها به.

2–**القَصْرُ في الاصْطِلاحِ:** يُعرَّف القصر في الاصطلاح بأنه: تخصيصُ شيءٍ بشيءٍ، أو حصرُ أمرٍ في آخر بطريقٍ من طرق مخصوصة، بحيث يُجعل أحد الطرفين مقصورًا على الآخر دون سواهِ [3].

---

[1] ابن منظور. لسان العرب. ج12. مادة (قَصَرَ). ص116.

[2] ينظر: الزبيدي. تاج العروس. تحق: عبد العليم الطحاوي. مادة (حبس).

[3] ينظر: عبد العزيز عتيق. علم المعاني. ص146، وعبد الرحمن حبنكة. البلاغة العربية. ج1. ص523.

ويُفهم من ذلك أن القصر هو نفسه الحصر، إذ يستعمل المصطلحان للدلالة على معنى واحد، وهو إثبات الحكم لشيءٍ ونفيه عمّا عداه[1]، إلا أن هذا المعنى، وإن كان في الأصل اللغوي يدل على الحبس والإلزام، فإنه في الاصطلاح البلاغي يتخذ صورةً أدق، تقوم على التخصيص بطريقٍ بيانيٍّ محدّد.

وبذلك يتبيّن أن القصر بناءٌ بلاغيّ يقوم على التخصيص والتوكيد، من خلال حصر المعنى في طرفٍ دون غيره.

ويتكوَّنُ أسْلوبُ القصْرِ مِن الآتي[2]:

- المقْصورِ.
- المقْصورِ عليه.
- أداةِ القَصْرِ.

فقولُك: "لا إلهَ إلَّا اللهُ" قَصْرٌ وتَخْصيصٌ لصِفةِ الأُلوهيَّةِ للهِ وحْدَه؛ فإنَّه لا يَسْتحقُّ أحدٌ أنْ يكونَ إلهًا أو يُتَّخذَ إلهًا غيرُه.

فالمقْصورُ في هذا المِثالِ (صِفةُ الألوهيَّةِ)، والمقْصورُ عليه (اللهُ)، وأداةُ القصْرِ النَّفيُ والاسْتِثناءُ: (لا ... إلَّا).

ثانيا– طُرقُ القَصْرِ:

للقَصْرِ والتَّخْصيصِ طُرقٌ كَثيرةٌ، وأشْهرُ طُرقِه أرْبعةٌ[3]:

1– "إنَّما": وهِي تُفيدُ القَصْرَ لتَضمُّنِها مَعْنى النَّفيِ والاسْتِثناءِ، والمقْصورُ عليه دائِمًا هو المتأخِّرُ، كما في قولِه تعالى: إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ [النساء: 171] .

2 – النَّفيُ والاسْتِثناءُ: والمقْصورُ عليه هو ما بعدَ أداةِ الاسْتِثناءِ؛ فإذا قلتُ: ما شاعِرٌ إلا شَوقي، فإنَّني قد قصَرْتُ صِفةَ الشِّعرِ على شوقي دُونَ غيرِه مِنَ الشُّعراءِ، وإنْ قلتُ: ما شَوقي إلَّا شاعِرٌ، فإنَّني قصَرْتُ شَوقي على الشِّعرِ فحسْبُ، فهُو ليس ناثِرًا ولا طَبيبًا ولا غيرَه.

---

[1] ينظر: محمد بن صالح العثيمين. شرح البلاغة مِن كتاب قواعد اللُّغة العربية. مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية. ط1. ص169.

[2] ينظر: أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة. ص185.

[3] ينظر: للخطيب القزويني. الإيضاح في علوم البلاغة. ج3. ص21..

3 – تَقْديمُ ما حقُّه التَّأخيرُ: كتَقْديمِ الخبَرِ على المبْتَدأِ وتَقْديمِ بعضِ مَعْمولاتِ الفِعلِ عليه، ويكونُ المقْصورُ عليه هو المتقدِّمَ، كقَولِه تعالى: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاتحة: 5]، فقصَر العِبادةَ والاسْتعانةَ عليه وحْدَه سُبحانَه وتعالى، بتَقديمِ العاملِ "إيَّاك" على المعمولِ "نَعبُدُ" و"نَستعينُ".

4– العطْفُ بـ«لا، بل، لكنْ»: فالعطْفُ بـ«لا» مِثلُ قولِ شَوقي:

كأنَّ أهْرامَ مِصْرٍ حائِطٌ نَهَضتْ به يَدُ الدَّهرِ لا بُنيانُ بانِينا

والمقْصورُ عليه هنا هو المعْطوفُ عليه (ما قبلَ أدَاةِ العطْفِ)؛ ففي البيتِ يُصوِّرُ الشَّاعرُ أهْراماتِ مصْرَ كأنَّما هي حائِطٌ قصَر بِناءَه على الدَّهرِ وحْدَه، فلم يُشارِكْه في بِنائِها بانٍ.

أمَّا العطْفُ بـ«بل» مثل قولِ الشَّاعِرِ:

ما افْتَرينا في مَدْحِه بلْ وصَفْنا بعْضَ أخلاقِه وذلك يَكْفي

والمقْصورُ عليه معَ «بل» هو المعْطوفُ (ما بعدَ أدَاةِ العطْفِ)؛ ففي المثالِ الأوَّلِ قصَر الصَّدقةَ على أنَّها مَغْنمٌ، وفي البيتِ قصَر الشَّاعرُ فِعلَه على أنَّه مُجرَّدُ وصفٍ لبعضِ مَحاسِنِ أخْلاقِه.

ومِنَ العطْفِ بـ«لكن»: لم يأتِ مُحمَّدٌ لكنْ عَمْرٌو، فقصَر المجيءَ على عَمْرٍو وحْدَه، والمقْصورُ هنا كذلك هو المعْطوفُ.

رابعا– أقسام القصرِ:

يَنْقسِمُ القصْرُ انْقِساماتٍ مُخْتلِفةً بحسَب عدَّةِ اعْتباراتٍ؛ فباعْتبارِ حالِ المقْصورِ يَنْقسِمُ إلى قصْرِ الصِّفةِ على الموْصوفِ وقصْرِ الموْصوفِ على الصِّفةِ، وباعْتبارِ الواقِعِ يَنْقسِمُ إلى قصْرٍ حَقيقيٍّ وقصْرٍ إضافيٍّ، وباعْتبارِ حالِ المخاطَبِ يَنْقسِمُ إلى قصْرِ إفْرادٍ، وقصْرِ قلْبٍ، وقصْرِ تَعْيينٍ.

1– القصْرُ باعتبارِ الطرفينِ: يَنْقسِمُ القصْرُ باعْتبارِ حالِ المقْصورِ إلى قِسْمينِ[1]:

أ– قصْرِ الصِّفةِ على المَوْصوفِ: وهو حَصرُ الصِّفةِ في مَوصوفٍ، بحيث لا تَتعدَّاهُ إلى مَوصوفٍ آخَرَ، كقولِك: "لا إلهَ إلَّا اللهُ"؛ ففيها قصْرُ صِفةِ الأُلوهيَّةِ على اللهِ وحدَه واخْتِصاصُه بها.

ب– قصْرِ المَوْصوفِ على الصِّفةِ: وهُو تَخْصيصُ الموْصوفِ، كقَولِه تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (آل عمران: 144)، فخصَّص مُحمَّدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بالرِّسالةِ، وقصَره عليها، يُريدُ سُبحانه أنْ يَذكُرَ أنَّه ليس بشيءٍ زائِدٍ عنِ البشَرِ غيرَ أنَّه رَسولٌ، وإلَّا فهُو يَأكُلُ ويَشرَبُ وسيَموتُ.

---

[1] ينظر: بهاء الدين السبكي. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. ج1. ص393، والهاشمي. جواهر البلاغة. ص171.

والمرادُ بالصِّفةِ هنا الصِّفةُ المعْنويَّةُ الَّتي تدُلُّ على مَعْنًى قائمٍ بشيءٍ، كالجُودِ والكرَمِ والعِلْمِ والحُسْنِ ونحوِ ذلك، سواءٌ أكان اللَّفظُ الدَّالُّ عليه جامِدًا أو مُشْتَقًّا، فِعلًا أو غيرَ فِعلٍ، فالمرادُ بالصِّفةِ ما يَحْتاجُ إلى غيرِه ليَقومَ به، كالفِعلِ ونحْوِه، وليس المرادُ بها ما يُسمَّى في بابِ النَّحْوِ: الصِّفةَ أوِ النَّعتَ.

2- القَصْرُ باعْتبارِ الواقِعِ والحَقيقةِ: يَنْقسِمُ القصْرُ باعْتبارِ الحقيقةِ والواقِعِ إلى قِسْمَينِ[1]:

أ- قصْرٍ حَقيقيٍّ: وهُو أنْ يَختَصَّ المقْصورُ بالمقْصورِ عليه بحسَبِ الحَقيقةِ والواقِعِ؛ بأَلَّا يتعدَّاه إلى غيرِه، وهو نوعانِ:

- القصرُ الحقيقيُّ التَّحقيقيُّ: وهو ما كان التَّخصيصُ فيه بالنِّسبةِ للحقيقةِ، بحيث لا يَتجاوَزُ المقصورُ المقصورَ عليه أصْلًا، مثل قولِنا: (لا خالِقَ إلَّا اللهُ)، فلا يُوجَدُ أحدٌ غيرُ اللهِ يتَّصفُ بصفةِ الخَلْقِ في الواقِعِ.

- القصرُ الحقيقيُّ الادِّعائيُّ: وهو أنْ يُختَصَّ المقصورُ بالمقصورِ عليه مِن بابِ المبالَغةِ والادِّعاءِ، فكأنَّ ما سِواه مِن قَبيلِ المعدومِ الذي لا يُعتَدُّ به، كقولِهم: "لا فتًى إلَّا عليٌّ" .

ب- قَصْرٍ إضافيٍّ: وهُو أنْ يَخْتصَّ المقْصورُ بالمقْصورِ عليه بحسَبِ الإضافةِ والنِّسبةِ إلى شيءٍ آخَرَ مُعيَّنٍ، لا لجَميعِ ما عداه، ومِثالُ ذلك قولنا: ما مُسافِرٌ إلَّا زيدٌ، فإنَّك لا تُريدُ قصْرَ السَّفرِ عن جَميعِ النَّاسِ سِوى زيدٍ، وإنَّما تُريدُ قصْرَه عن شخْصٍ آخَرَ غيرِه، كأنْ يَظُنَّ المخاطَبُ أنَّ عليًّا مُسافِرٌ كذلك، فتُريدُ بقولِك هذا قصْرَ السَّفرِ على زيدٍ إضافةً إلى غيرِه ممَّن تَعْرِفُه، وإلَّا فالواقِعُ يَشهَدُ ببُطلانِ خُلوِّ العالَمِ مِن مُسافِرٍ غيرِ زيدٍ.

3- القصْرُ باعْتِبارِ عِلْمِ المُخاطَبِ: يَنْقسِمُ القصْرُ باعْتِبارِ عِلمِ المخاطَبِ إلى ثَلاثةِ أقْسامٍ[2]:

أ- قَصْرِ إفْرادٍ: وذلك إذا كان المخاطَبُ يَعتقِدُ أنَّ المقْصورَ عليه يَشترِكُ معَه غيرُه في الحكْمِ، كقَولِه تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ (النساء: 171)، فهذه الآيةُ خاطَبَ اللهُ بها النَّصارى الَّذين لا يُقِرُّونَ بالتَّوْحيدِ، ويَزعُمونَ أنَّ اللهَ ثالِثُ ثَلاثةٍ.

ويُشترَطُ في ذلك القصرِ ألَّا تَتنافى الصِّفتانِ؛ فإذا قلنا: (ما زَيدٌ إلَّا شاعرٌ)، نفَيتُ بذلك عنه الكتابةَ والخطابةَ وما يُشبِهُها، لا أنْ يكونَ المقصودُ نفْيَ الإفحامِ عنه، وعَدمِ القُدرةِ على قَولِ الشِّعرِ؛ فذلك يَحصُلُ بمُجرَّدِ قولِنا: (زيدٌ شاعرٌ)، مِن غيرِ قَصرٍ.

---

[1] ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة. ص170,

[2] ينظر: عصام الدين الحنفي، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم. ج1. ص540,

ب– قَصْرِ قلْبٍ: وذلك إذا كان المخاطَبُ يَعتقِدُ عكْسَ المِعْنى الَّذي يُفيدُه القصْرُ، مثل: (إنَّما زيدٌ شاعرٌ)، لمن اعتَقَد أنَّ زيدًا ناثرٌ لا شاعرٌ.

ج– قصْرِ تَعْيينٍ: إذا كان المخاطَبُ يَعتقِدُ انْحِصارَ المقْصورِ عليه، ولكنَّه لا يُدرِكُ هذا المقْصورَ عليه على وَجْهِ التَّحْديدِ، كقولِنا لمن تَردَّد في أيِّهما كريمُ العربِ: حاتمٌ الطائيُّ أم الخَنْساءُ: (إنَّما الكريمُ حاتمٌ).

وخلاصة القول، يتبيّن أن أسلوب القصر يُمثّل من أبرز الآليات البلاغية التي تُعنى بتوجيه المعنى وتحديده، إذ يقوم على حصر الحكم في جهة معيّنة ونفيه عمّا سواها، بما يُكسب الخطاب قوةً في التوكيد ودقةً في الدلالة. ومن ثمّ، فإن القصر لا يُفهم بوصفه مجرد تركيب لغوي، بل باعتباره أداة تداولية تُسهم في ضبط العلاقة بين المتكلم والمخاطَب، وفق ما يقتضيه المقام.

وقد كشف تحليل طرق القصر وتنوّع أساليبه — من إنما، والنفي والاستثناء، والتقديم، والعطف — عن مرونة اللغة العربية في التعبير عن التخصيص، بحيث تتعدد الصيغ وتختلف درجات التوكيد تبعًا للسياق والغرض البلاغي. كما أظهر تقسيمه إلى قصر حقيقي وإضافي، وإلى قصر إفراد وقلب وتعيين، مدى ارتباط هذا الأسلوب بحال المخاطَب، وما يعتقده من تصورات سابقة.

وإذا كان القصر يُسهم في توكيد المعنى وتخصيصه، فإنه في الوقت ذاته يُعدّ وسيلة حجاجية فعّالة، يُستخدم لإثبات المعاني أو نفيها، وتصحيح التصورات، وتوجيه الفهم نحو وجهة محددة، وهو ما يجعله حاضرًا بقوة في النصوص القرآنية والخطاب الأدبي على حدّ سواء.

وعليه، فإن الإلمام بأسلوب القصر وضبط طرائقه وأقسامه يُمثّل مرحلة متقدمة في فهم علم المعاني، ويُعين الدارس على تحليل النصوص واستكشاف ما تنطوي عليه من دلالات قائمة على التخصيص والتوكيد، بما يُمكّنه من إدراك أبعاد الخطاب العربي في مستوياته التداولية والبلاغية.

تطبيق 1: استخرج أسلوب القصر مما يأتي، وبيّن الطريقة، والمقصور، والمقصور عليه:

1. إنما الله إله واحد
2. ما شاعرٌ إلا المتنبي
3. إياك نعبد

تطبيق 2: أكمل الجدول الآتي:

الجملة	طريقة القصر	المقصور	المقصور عليه
لا إله إلا الله			

إنما النجاح بالاجتهاد			
ما محمد إلا رسول			
إياك نستعين			

المحاضرة الخامسة عشرة: التورية

تُعَدّ التورية من الأساليب البلاغية الدقيقة التي تقوم على **إيراد لفظٍ له معنيان:** أحدهما قريب ظاهر يتبادر إلى الذهن، والآخر بعيد خفي هو المقصود في السياق. وبذلك تُبنى التورية على نوعٍ من الإيحاء الدلالي الذي يقتضي تأمّل المتلقي للوصول إلى المعنى المراد.

فهي لا تقوم على التصريح المباشر، بل على الإخفاء المقصود، حيث يُذكر اللفظ ويُراد به غير ظاهره، فيُضفي ذلك على التعبير عمقًا وجمالية، ويُثير ذهن القارئ أو السامع للبحث عن الدلالة البعيدة.

وعليه، فإن التورية تمثل أسلوبًا بيانيًا يجمع بين الإيجاز والإيحاء، ويُسهم في إثراء المعنى وتكثيفه.

1 تعريف التورية:

لإدراك مفهوم التورية على نحوٍ دقيق، يجدر تناولها من جانبين متكاملين: الجانب اللغوي، ثم الجانب الاصطلاحي.

أ التورية لغة: تُشتقّ التورية من الفعل ورى، وقد ارتبط معناها في الاستعمال اللغوي بدلالات الستر والخفاء وعدم التصريح .وفي هذا السياق، جاء في لسان العرب أن التورية هي الكناية عن الشيء، فيُقال: الكِنَايَةُ عَنِ الشَّيْءِ، يُقَالُ: وَرَّيْتُ بِكَلاَمِي إِذَا كَنَّيْتَ وَلَمْ تُصَرِّحْ، وَضِدُّهَا الصَّرَاحَةُ، وأَصْلُ التَّوْرِيَةِ: السَّتْرُ والإِخْفاءُ، يُقالُ: وَرَّيْتُ الخَبَرَ أُورِيهِ تَوْرِيَةً إِذَا سَتَرْتَهُ وَأَخْفَيْتَهُ، وَضِدُّهَا الإِظْهَارُ، وَالتَّوَارِي: الاسْتِتَارُ، وَوَرَّى عَمَّا فِي نَفْسِهِ إِذَا أَخْفَاهُ وَأَظْهَرَ غَيْرَهُ، وَالتَّوْرِيَةُ أَيْضًا: التَّأْخِيرُ، وَالوَرَاءُ: الخَلْفُ، وَتُطْلَقُ التَّوْرِيَةُ أَيْضًا بِمَعْنَى: الاسْتِخْراجُ، تَقُولُ: وَرَّيْتُ النَّارَ تَوْرِيَةً إِذَا اسْتَخْرَجْتَهَا[1].

وعليه، فإن التورية في معناها اللغوي تدور حول الإخفاء والتلميح بدل التصريح، وهو ما يُمهّد لدلالتها الاصطلاحية في البلاغة.

ب التورية اصطلاحا: تُعرَّف التورية بأنها: إيراد لفظٍ له معنيان؛ أحدهما قريبٌ ظاهر يتبادر إلى الذهن من أول وهلة، غيرُ مرادٍ للمتكلم، والآخر بعيدٌ خفيٌّ لا يُدرك إلا بعد تأمّل، وهو المقصود في السياق[2]. ويُفهم من هذا التعريف أن التورية تقوم على نوعٍ من الإيهام، حيث يُوجَّه ذهن السامع إلى المعنى القريب، في حين يُراد المعنى البعيد.

---

[1] ينظر: لسان العرب. ج15. ص388. مادة (وري).

[2] ينظر: الزركشي. البرهان في علوم القرآن. ج3. ص445،

وبعبارة أدق، فإن التورية تتحقق عندما يستعمل المتكلم لفظًا مشتركًا بين معنيين، فيحمل السامعُ كلامَه على المعنى الظاهر، بينما يكون القصد منصرفًا إلى المعنى الخفي، وهو ما يُكسب التعبير عمقًا ودقّةً في الأداء البلاغي.

هي نوع من أنواع البلاغة والمحسنات البديعية، تعني إطلاق لفظٍ له معنيان، معنى (قريب) يصل إلى الذهن لأوّل وهلة، ولا يقصده الكاتب، ومعنى (بعيد) لا يصل إلى الذهن إلا بعد تمعّنٍ ورويّة، ويقصده الكاتب.

وتقوم التورية على الأركان الآتية:

– المّورى به: وهو المعنى القريب (غير المقصود) ويستر به عن غيره.**2– المّورى عنه:** وهو المعنى البعيد (المقصود) وهو المعنى المستور.

2 بلاغة التورية:

تتجلّى بلاغة التورية في جملة من الخصائص التي تمنحها قيمتها الفنية وتُكسبها أثرًا خاصًا في الخطاب، من أبرزها [1]:

- **جمالية الإيحاء ولطف التعبير:** يظهر المعنى البعيد—وهو المقصود—من وراء المعنى القريب في صورةٍ موحية رقيقة، فيتجلّى للمتلقي تدريجيًا في إطارٍ فنيٍّ لطيف، يُشبه انكشاف المعنى الجميل من وراء حجابٍ ساتر، مما يُضفي على التعبير رونقًا وجاذبية.
- **إثارة الذهن وتعميق التلقي:** يتبادر إلى ذهن المتلقي في بادئ الأمر المعنى القريب لسهولة إدراكه، ثم لا يلبث أن ينتقل—بفعل التأمل—إلى المعنى البعيد، فيتحقق نوع من التدرّج في الفهم، يُكسب المعنى رسوخًا وأثرًا أقوى في النفس.
- **الإيحاء مع تجنّب التصريح:** تُتيح التورية للمتكلم التعبير عن معانٍ قد يتحفّظ عن التصريح بها، فيُشير إليها بطريق غير مباشر، فيجمع بذلك بين سلامة المقصد وبلاغة التعبير، دون الوقوع في الحرج أو الإخلال بالمعنى.

وعليه تقوم بلاغة التورية على الجمع بين الإخفاء والإظهار، والإيحاء والتصريح، في بناءٍ دلاليٍّ يُحرّك الفكر ويُثري المعنى ويُعمّق أثره في المتلقي.

---

[1] بسيوني عبد الفتاح فيود. علم البديع (دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع). مؤسسة المختار. القاهرة. ط3. (1432هـ \2011م). ص184.

3- أنواع التورية:

التورية أربعة أنواع تتمثل في الآتي:

1- التورية المجردة: هي نوعٌ من التورية يُؤتى فيه باللفظ ذي المعنيين دون أن يُصاحبه ما يدلّ على أحدهما، فلا يُذكر في السياق لازمٌ من لوازم المعنى القريب (المورّى به)، ولا من لوازم المعنى البعيد (المورّى عنه) [1].

وعليه، تبقى الدلالة في هذا النوع مجرّدة من القرائن، بحيث يُترك للمتلقي مجالُ التأمّل والترجيح بين المعنيين، إلى أن يهتدي إلى المعنى المقصود من خلال السياق العام.

ومثاله قول أبي بكر الصديق في الهجرة، عندما سأله سائل عن النبي قائلا: «من هذا؟» فقال أبو بكر: «هاد يهديني»[2]. أراد أبو بكر هو هاد يهديني إلى الإسلام، فورّى عنه بهادي الطريق، الذي هو الدليل في السفر.

2 **التورية المرشّحة:** هي التورية التي يُدعَّم فيها المعنى القريب (المورّى به) بذكر لازمٍ من لوازمه، إمّا قبل لفظ التورية أو بعده، فيقوى حضوره في ذهن المتلقي، ويشتدّ الإيهام، فينصرف الذهن إليه، بينما يكون المقصود هو المعنى البعيد (المورّى عنه). ولذلك عُدّت من أقوى أنواع التورية من حيث التأثير.

وتنقسم، بحسب موقع اللازم، إلى نوعين[3]:

أ- ما ذُكر لازمه قبل لفظ التورية: وهو أن يتقدّم في الكلام ما يُلائم المعنى القريب ويُقوّيه. ومن ذلك قول يحي بن منصور:

فلما نأت عنا العشيرة كلّها أنخنا فحالفنا السيوف على الدهر

فما أسلمتنا عند يوم كريهة ولا نحن أغضينا الجفون على وقر

فالشاهد لفظة (الجفون) فإنها تحتمل جفون العين، وهذا هو المعنى القريب المورّى به، وقد تقدم لازم من لوازمه على جهة الترشيح وهو (الإغضاء)؛ لأنه من لوازم العين، وتحتمل أن تكون جفون السيوف أي أغمادها، وهذا هو المعنى البعيد المراد المورى عنه؛ لأن السّيف إذا أغمد انطبق الجفن عليه، وإذا جرّد انفتح.

---

[1] عبد العزيز عتيق. علم البديع. ص126.

[2] ينظر: عبد العزيز عتيق. علم البديع. ص 122-134.

[3] ينظر: أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. ص 300.

ب– ما ذُكر لازمه بعد لفظ التورية

وهو أن يأتي ما يُلائم المعنى القريب بعد لفظ التورية. ومثاله قوله (السريع)[1]:

مذ همت من وجدي في خالها ولم أصل منه إلى اللّثم

قالت: قفوا واستمعوا ما جربخالي قد هام به عمّي

فالتورية: في (خالها) لاحتماله معنيين: معنى قريب: خال النسب، وقد رُشِّح بذكر« عمي»بعده، ومعنى بعيدًا: الشامة، وهو المقصود في السياق.

ومنه فالتورية المرشّحة تقوم على تقوية المعنى القريب بذكر لازمه، مما يزيد الإيهام ويُخفي المعنى البعيد، وهو المقصود البلاغي في هذا الأسلوب.

3 **التورية المبيّنة:** هي التورية التي يُقترن فيها اللفظ بلازمٍ يدلّ على المعنى البعيد (المورّى عنه)، إمّا قبل لفظ التورية أو بعده، فيكون هذا اللازم كاشفًا للمقصود ومُعينًا على إدراكه. وسُمّيت مُبيَّنة لأن القرينة فيها لا تُقوّي المعنى القريب، بل تُوضّح المعنى البعيد وتُرشِد إليه،ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ (الإنسان: 19)، حيث يحتمل لفظ « مخلَّدون»معنى قريبًا هو البقاء والدوام، ويحتمل معنى بعيدًا هو لبس الأقراط (من الخُلد)، وهو المراد، وقد دلّ عليه السياق.

وتنقسم التورية المبيّنة إلى نوعين[2]:

أ– ما ذُكر لازم المعنى البعيد قبل لفظ التورية وهو أن يتقدّم في الكلام ما يُمهّد للمعنى البعيد ويُبيّنه. ومن ذلك قول البحتري: ووراء تسدية الوشاح مليّةٌ بالحسن تملح في القلوب وتعذب

فلفظ« تملح» يحتمل: معنى قريبًا: من الملوحة (ضد العذوبة)، وهو غير مراد، ومعنى بعيدًا: من الملاحة (أي الحُسن)، وهو المقصود، وقد بُيّن بقول الشاعر: «مليّة بالحسن» .

ب– ما ذُكر لازم المعنى البعيد بعد لفظ التورية وهو أن يأتي ما يُوضّح المعنى البعيد لاحقًا في السياق. ومن ذلك قول الشاعر: أرى ذنب السرحان في الأفق طالعًا فهل ممكن أن الغزالة تطلع؟

ففي قول« ذنب السرحان»المعنى القريب: ذنب الحيوان، وهو غير مراد، والمعنى البعيد: أول ضوء الصبح، وقد بُيّن بلفظ «طالعًا».

---

[1] المراغي. علوم البلاغة: البديع والبيان والمعاني. ص 79.

[2] ينظر: أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. ص 300.

4 **التورية المهيّأة:** هي التورية التي لا تتمّ ولا تتضح إلا بقرينةٍ تُهيّئ لها، إمّا بلفظٍ يتقدّمها، أو يتأخّر عنها، أو باقتران لفظين بحيث لا تتحقق التورية في أحدهما إلا بوجود الآخر. ومن هنا سُمّيت مُهيَّأة؛ لأن السياق هو الذي يُمهّد لها ويُنشئ إمكانها[1]، ومن أمثلتها قول عمر بن أبي ربيعة:

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان؟

فلفظا «الثريا» و«سهيل» يحتملان معنى قريبًا وهما اسما نجمين، ومعنى بعيدًا وهما اسما امرأة ورجل، ولا تتحقق التورية في أحدهما إلا بوجود الآخر[2]، إذ كلٌّ منهما يُهيّئ معنى الآخر.

وتنقسم التورية المهيّأة إلى ثلاثة أقسام[3] :

أ– ما تتهيأ فيه التورية بلفظٍ سابق: أي يكون في السياق ما يُمهّد للمعنيين قبل ورود لفظ التورية، ومن ذلك قول ابن سناء الملك :

وأظهرت فينا من سميك سنة فأظهرت ذاك الفرض من ذلك الندب

فلفظا «الفرض» و«الندب» يحتملان الأحكام الشرعية (وهو المعنى القريب)، ويحتملان معاني أخرى بعيدة، ولولا ورود لفظ «السنة» قبلهما لما تهيأت التورية.

ب– ما تتهيأ فيه التورية بلفظٍ لاحق: أي يكون ما بعد اللفظ هو الذي يُنبّه إلى المعنى. ومن ذلك قول عليّ رضي الله عنه: «إنه كان يحوك الشمال باليمين»

فلفظ «الشمال» يحتمل اليد أو الكساء، لكنّ ذكر «اليمين» بعده هو الذي هيّأ معنى اليد، وأتاح التورية.

ج– ما تقع فيه التورية في لفظين متلازمين: بحيث لا تتحقق التورية في أحدهما دون الآخر، كما في قول عمر بن أبي ربيعة السابق، حيث إن «الثريا» و«سهيل» كلٌّ منهما يُكمل الآخر في بناء التورية.

ويجدر التنبيه إلى أنّ التورية المهيّأة تختلف عن المرشّحة والمبيّنة؛ إذ إن القرينة فيها مُنشِئة للتورية لا مُقوِّية لها، فلو حُذفت لم تتحقق التورية أصلًا[4]، بخلاف الترشيح والتبيين، فإنّهما يعزّزان التورية دون أن يكون وجودها متوقفًا عليهما.

---

[1] ينظر: عبد العزيز عتيق. علم البديع. ص 129-130.

[2] ينظر: أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. ص300.

[3] ينظر: عبد العزيز عتيق. علم البديع. ص129.

[4] ينظر: نفسه، ص132.

وخلاصة القول، يتبيّن أن التورية تمثّل من أرقى الأساليب البلاغية التي تقوم على الإيحاء والتلميح بدل التصريح، حيث تُبنى على ازدواج الدلالة بين معنى قريب ظاهر وآخر بعيد خفي هو المقصود. ومن ثمّ، فإنها لا تُعدّ مجرد محسّن لفظي، بل آلية دلالية دقيقة تُسهم في تعميق المعنى وتكثيفه، وإشراك المتلقي في عملية التأويل.

وقد كشف تحليل أنواع التورية عن تنوّع طرائق بنائها، بين ما يُترك فيه المعنى دون قرينة، وما يُدعّم بالترشيح أو التبيين أو التهيئة، وهو ما يعكس مرونة هذا الأسلوب وقدرته على التكيّف مع مختلف السياقات التعبيرية، كما أظهر هذا التنوع أن القيمة البلاغية للتورية لا تكمن في الغموض لذاته، بل في التوازن بين الإخفاء والإظهار، بحيث يُوجَّه ذهن المتلقي من المعنى الظاهر إلى المعنى المقصود عبر مسار تأويلي مدروس.

وإذا كانت التورية تُدرج ضمن المحسّنات البديعية، فإنها تتجاوز هذا الإطار إلى بُعد تداولي وحجاجي، إذ تُستخدم للتلطيف في التعبير، أو للتعريض، أو لإيصال معانٍ دقيقة دون تصريح مباشر، مما يُكسب الخطاب مرونةً ولباقةً في الأداء.

تطبيق1: حدّد فيما يأتي المعنى القريب (غير المقصود)، والمعنى البعيد (المقصود)

1 له يدٌ في الخير

2 فلان طويل النجاد

تطبيق2: استخرج التورية وبيّن نوعها فيما يأتي:

1 فلان بحر في العلم.

2 أشرق الصبح فظهر ذنب السرحان

خاتمة

وفي ختام هذه المطبوعة، يتبيّن أن البلاغة العربية ليست علمًا يُقصد به تزيين الخطاب أو تجميله فحسب، بل هي أداة معرفية دقيقة تُسهم في بناء المعنى، وتوجيه الدلالة، وإحكام الصياغة وفق مقتضيات المقام. فهي، في جوهرها، علمٌ يُعنى بكيفية القول لا بمجرّد القول، وبطرائق التعبير التي تُحقّق التلاؤم بين اللفظ والمعنى، وتُكسب الخطاب قوته التأثيرية وطاقته الإقناعية.

وإذا كان الدرس البلاغي قد استقرّ في صورة علومٍ ثلاثة متكاملة، فإنّ الغاية من دراستها لا تنحصر في ضبط المصطلحات أو استظهار القواعد، بل تتجاوز ذلك إلى تنمية ملكة التحليل والتذوّق، وتمكين الدارس من إدراك الفروق الدقيقة بين الأساليب، والوقوف على أسرار الجمال في النصوص الأدبية. ومن ثمّ، فإنّ البلاغة تُسهم إسهامًا جوهريًا في تكوين الحسّ اللغوي والنقدي لدى الطالب، وتُعينه على قراءة النص قراءة واعية تستحضر أبعاده الدلالية والجمالية معًا.

وقد سعت هذه المطبوعة، في حدود ما يتيحه المستوى التمهيدي، إلى تقديم مدخلٍ منهجيٍّ يُقرّب مفاهيم البلاغة، ويؤسّس لفهمٍ متدرّجٍ يقوم على الربط بين النظرية والتطبيق، بما يُيسّر على الطالب استيعاب هذا العلم، ويُهيّئه للانتقال إلى مستويات أعمق من التحليل والدراسة.

وختامًا، فإنّ الإلمام بأسس البلاغة العربية يُعدّ خطوةً ضرورية في مسار التكوين الجامعي لطلبة اللغة العربية وآدابها، لما يفتحه من آفاقٍ في فهم النصوص وتحليلها، ولما يُنمّيه من قدرةٍ على التعبير السليم المؤثّر. ومن هذا المنطلق، تظلّ هذه المطبوعة محاولةً علميةً موجّهةً إلى خدمة هذا المقصد، وقابلةً للتطوير والإغناء في ضوء الممارسة البيداغوجية والتقويم العلمي المستمر.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن تيمية. مجموع الفتاوى. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. المدينة المنورة، السعودية. (1425هـ- 2004م).
2. ابن جني. الخصائص. تحق: محمد علي النجار. الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر. ط4.
3. ابن حجة الحموي. خزانة الأدب وغاية الأرب.
4. ابن خلكان. وفيات الأعيان. تحق: إحسان عباس. دار صادر. بيروت.
5. ابن سيده. المحكم والمحيط الأعظم. تحق: عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1.
6. ابن فارس. معجم مقاييس اللغة. تحق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر.
7. ابن منظور. لسان العرب، المجلد الأول. ط5. دار صادر للطباعة والنشر. بيروت، لبنان،2005م.
8. أبوهلال العسكري. كتاب الصناعتين. تحق: أحمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. دار عيسى البابي. 1971م.
9. أحمد أمين. ضحى الإسلام. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1.
10. أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة. المكتبة العصرية. صيدا، بيروت.
11. أحمد شامية، خصائص العربية والإعجاز القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر ،1995
12. أحمد قلاش. تيسير البلاغة. جدة. مطبعة الثفر. 1995م.
13. الجاحظ. البيان والتبيين. تحق: عبد السلام محمد هارون. ط7. القاهرة. (1418هـ\1998م). مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع.
14. الجوهري. الصحاح.
15. الخطيب القزويني. الإيضاح في علوم البلاغة. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. 2003م.

16. الراغب الأصفهاني. مفردات ألفاظ القرآن الكريم. تحق: صفوان عدنان الداودي. دار القلم. دمشق، بيروت. ط1.
17. السيوطي. المزهر في علوم اللغة وأنواعها. تحق: فؤاد علي منصور. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1.
18. الشريف الجرجاني. معجم التعريفات. تحق: محمد الصديق المنشاوي. دار الفضيلة.
19. الفراهيدي، الخليل بن أحمد. العين. تحق: عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان. ط1.
20. القاضي عبد الجبار. تنزيه القرآن عن المطاعن. تحق: أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة. مكتبة النافذة. ط1.
21. القزويني. تلخيص المفتاح. مكتبة البشرى. باكستان. ط1.
22. المبارك، مازن. الموجز في تاريخ البلاغة. دار الفكر.
23. المراغي، أحمد مصطفى. علوم البلاغة: البيان والمعاني والبديع. دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان. ط3.
24. أحمد الهاشمي. جواهر البلاغة. المكتبة العصرية. صيدا، بيروت. دت
25. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد. أساس البلاغة. تحق: محمد باسل عيون السود. دار الفكر العلمية. بيروت، لبنان. ط1.
26. السكاكي. مفتاح العلوم. تحق: نعيم زرزور. دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان. ط2.
27. الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. دار هجر. القاهرة. ط1.
28. الفضلي، عبد الهادي. خلاصة علم الكلام. دار التعارف للمطبوعات. سور يا.
29. القرطبي، محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1.
30. الميداني، عبد الرحمن حسن حنك. البلاغة العربية أسسها علومها وفنونها. دار القلم. دمشق، بيروت. ط1.
31. النقراط، عبد الله محمد. الشامل في اللغة العربية. دار الكتب الوطنية. بنغاري، ليبيا. ط1.
32. أبو منصور الثعالبي. فقه اللغة وسر العربية. تحق: عبد الرزاق المهدي. إحياء التراث العربي. ط1.

33. أبو منصور الأسفراييني. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية. دار الآفاق الجديدة. بيروت. ط2.

34. بكري شيخ أمين. البلاغة العربيّة في ثوبها الجديد (علم البيان). دار العلم للملايين. بيروت. ط1.

35. حسن طبل. علم المعاني في الموروث البلاغي، تأصيل وتقييم. مكتبة الإيمان. المنصورة، مصر. ط2.

36. خليل بن أحمد الفراهيدي. العين. تحق: عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان. ط1.

37. سعد الدين التفتازاني. المطول في شرح تلخيص المفتاح. مكتبة الأزهر للتراث.

38. عبد الرحمن بن خلدون. مقدمة ابن خلدون. دار صادر. بيروت. ط1.

39. عبد الرحمن طه. تجديد المنهج في تقويم التراث. المركز الثقافي العربي. المغرب. ط2.

40. عبد القادر محمد مايو. البلاغة العربية "الخبر والإنشاء". دار القلم العربي. حلب.

41. عبد القاهر الجرجاني، *دلائل الإعجاز*، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1992م

42. عبد الله بن صالح الفوزان. تعجيل الندى بشرح قطر الندى. دار ابن الجوزي.

43. عبد الله بن يوسف الجديع. المقدمات الأساسية في علوم القرآن. مركز البحوث الإسلامية ليدز. بريطانيا، ط1.

44. عبد المتعال الصعيدي. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة. مكتبة الآداب. ط17.

45. عبد الوهاب عزام. البلاغة العربية. دار المعارف. القاهرة. ط1.

46. علي الجارم ومصطفى أمين. البلاغة الواضحة: البيان، المعاني، البديع. دار المعارف.

47. علي الكاتب. مواد البيان. دار البشائر. سورية. ط1.

48. علي فراجي. محاضرات وتطبيقات في علم البيان. دار هومة للطباعة والنشر. الجزائر. 2010م.

49. عماد علي عبد السميع. التيسير في أصول واتجاهات التفسير. دار الإيمان. الإسكندرية.

50. فضل حسن عباس. البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني. دار الفرقان. كلية الشريعة. الجامعة الأردنية. ط4.

51. قلقيلة، عبده عبد العزيز. البلاغة الاصطلاحية. دار الفكر العربي. القاهرة.

52. محمد بن صالح العثيمين. شرح البلاغة مِن كتاب قواعد اللُّغة العربية. مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية. ط1.

53. محمد فؤاد سزكين. مقدمة المجاز. مؤسسة الرسالة. ط2.

54. محمد مرتضى الحسيني الزَّبيدي. تاج العروس. دار الهداية.

55. محمّد التونجي. الجامع في علوم البلاغة: المعاني، البيان، البديع.

56. مصطفاوي عبد الجليل. صور البيان في تفسير الزمخشري. جامعة أبي بكر بلقايد.

57. يوسف أبو العدوس، *مدخل إلى البلاغة العربية*، عمّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع